الفصل الخامس

العادة الرابعة

مارس مسئوليتك

الفصل الخامس: العادة الرابعة

مارس مسئوليتك

يقول الرسول الكريم ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**» (رواه مسلم)؛ ولذا أقترح أن تكون العادة الرابعة هي: مارس مسئوليتك، بدلًا من العادة الرابعة في كتاب كوفي: فكر في المكسب المشترك، وذلك لسببين:

أولهما: أهمية أن يمارس الأبوان مسئوليتهما عن رعاية وتربية أولادهما حتى تستقيم الأسرة على الطريق الصحيح.

والثاني: أن عادة فكر في المكسب المشترك ربما تكون مناسبة أكثر عند الحديث عن عادات الناس الأكثر فاعلية في مجال المال والأعمال.

وكما يقول كوفي: إن العادات الرابعة والخامسة والسادسة في كتابه شديدة الارتباط، ولذلك يمكن دمج العادة الرابعة (فكر في المكسب المشترك) في العادة السادسة (التكاتف)؛ لأن التكاتف والتآزر سيؤدي حتمًا إلى مكسب مشترك، وإلى بديل ثالث أفضل من البديلين الموجودين عند طرفي النزاع من أفراد الأسرة.

ولكي يصل الأبوان إلى القناعة بأن هذه مسئولية جسيمة ملقاة على عاتقهما، وأنه لا بد أن يمارسا مسئوليتهما عن أولادهما نوضح لهما ذلك في ما يلي:

1- مسئولية المربي في الإسلام:

من أظهر المسئوليات في الإسلام مسئولية المربين تجاه من هم في أعناقهم حق التربية والتوجيه والتعليم، وهي مسئولية كبيرة وشاملة لكونها تبدأ منذ الولادة، ثم عندما يمر الولد بمرحلتي التمييز والمراهقة، وصولًا إلى أن يصبح شابًا / شابة مكلفًا سويًّا، ولا شك أن الأبوين حين يمارسان مسئوليتهما كاملة، ويؤديان الحقوق نحو أولادهما بكل أمانة وعزم،

وعلى الوجه الذي يرضي الله، سيكونان قد بذلا قصارى جهدهما في تكوين الفرد الصالح بكل خصائصه ومقوماته، ثم بالتالي عندما يتزوج سيكونان قد أوجدا الأسرة الصالحة التي هي اللبنة الأولى في المجتمع.

وبذلك يكونان قد أسهما في بناء المجتمع السليم الذي يسعى إليه الإسلام، والذي يتكون من أسر يحدد الله صفاتها وخصائصها في آيات القرآن الكريم مثل: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه: 132]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ [التحريم: 6] وفي أحاديث الرسول الكريم ﷺ مثل: «... **الرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**» [رواه الشيخان]، «**لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع**» (رواه الترمذي).

وانطلاقًا من هذا التوجيه القرآني والهدي النبوي اهتم الآباء والأمهات جيلًا بعد جيل بتربية الأولاد، واعتنوا بتعليمهم وتقويمهم، وأحسوا بمسئوليتهم ومارسوها، ولذلك كان الصحابة والتابعون يختارون لأولادهم أفضل المربين ويوصونهم.

فقد قال عقبة بن أبي سفيان للمؤدب لما دفع إليه ولده: «ليكن أول ما تبدأ من إصلاح ابني إصلاح نفسك (منهج التغيير من الداخل إلى الخارج)، فإن عينه معقودة عليك، فالحسن عنده ما استحسنت، والقبيح عنده ما استقبحت، وعلمه سير الحكماء وأخلاق الادباء، وهدده بي وأدبه دوني، وكن له كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكلن على عذر مني، فإني قد اتكلت على كفاية منك».

وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ابنه المأمون إلى المؤدب قال له: «يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك بمهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، أقرئه القرآن، ولا تمرَّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة».

وبلغ من اعتناء السلف بالأولاد أنهم كانوا حريصين على متانة الرابطة معهم، فكانوا يحزنون إذا غابوا عن أولادهم فترة لسبب من الأسباب، لخوفهم على أولادهم أن لا يؤدبوا على ما يريدون، فلما بعث الخليفة العباسي إلى من في الحبس من بني أمية من يقول لهم: «ما

أشد ما مر بكم في هذا الحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا»، فانظر إلى اهتمام السلف بتربية أولادهم، وانظر إلى الخلف الذي يغيب الرجل منهم في دول الخليج لأكثر من عشر سنوات، ولا يرى أولاده إلا شهرًا في السنة، ويعوضهم عن غيابه بإغداق المال عليهم، ولذلك انتشر الفساد في الأولاد، وصار الرجل يرجع فيفاجأ بما يسوءه في أهله وأولاده.

2- أهم المسئوليات على الأب والأم:

في نظر كثير من علماء التربية فإن أهم المسئوليات هي:

- مسئولية التربية الإيمانية.
- مسئولية التربية الأخلاقية.
- مسئولية التربية الصحية والجسمانية.
- مسئولية التربية العقلية.
- مسئولية التربية النفسية.
- مسئولية التربية الاجتماعية.
- مسئولية التربية الجنسية.

وسنحاول أن نوجز القول في كل جانب من جوانب هذه المسئوليات السبع.

2-1 مسئولية التربية الإيمانية:

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الأولاد بأصول الإيمان، وتعويدهم على أركان الإسلام منذ وصولهم إلى فهمها، وتعليمهم عندما يميزون مبادئ الشريعة الغراء، فعلى المربى أن ينشأ من يربيه منذ نشأته على هذه المفاهيم والأسس، حتى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة، ويؤمن به ويعمل به منهاجًا ونظامًا، فلا يتخذ بعد توجيه المربي سوى الإسلام دينًا، وسوى القرآن إمامًا، وسوى الرسول ﷺ قائدًا وقدوة، وأهم إرشادات الرسول الكريم ﷺ في هذا الجانب ما يلي:

- **أمره ﷺ بالفتح على الولد بكلمة لا إله إلا الله:** فقد روى الحاكم عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**افتحوا على صبيانكم أولًا بكلمة لا إله إلا الله**» لتكون كلمة التوحيد هي أول ما يقرع سمع الطفل، ويكون ذلك بالأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في اليسرى.
- **تعريفه أول ما يعقل أحكام الحلال والحرام:** لما أخرجه ابن جرير من حديث ابن عباس أنه قال: «**اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر**

واجتناب النواهي، فذلك وقاية لهم ولكم من النار»، وذلك حتى يفتح الولد عينه منذ نشأته على أوامر الله وامتثالها، وعلى اجتناب نواهيه، فيدرب من صغره على الابتعاد عنها، ويرتبط من صغره بأحكام الشريعة.

- **أمره بالعبادات وهو في سن السابعة**: لما روى الحاكم عن ابن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»؛ وذلك حتى يتعلم الولد أحكام العبادات منذ نشأته، ويعتاد أداءها والقيام بها منذ نعومة أظافره، وحتى يتربى على طاعة الله والقيام بحق الشكر له.

- **تأديبه على حب رسول الله ﷺ وحب آل بيته، وحب تلاوة القرآن**، لما روى الطبراني عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه**»، ويتفرع عن هذا تعليمهم مغازي رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة الكرام، والمعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي.

يقول سعد بن أبي وقاص: «كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن»، وأوصى الإمام أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين «بتعليم الطفل القرآن الكريم، وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار، ثم بعض الأحكام الدينية»، وأشار ابن خلدون في مقدمته إلى أهمية تعليم القرآن للأطفال وتحفيظهم إياه، وأوضح أن تعليم القرآن يجب أن يكون هو أساس التعليم في المناهج الدراسية، وقد أوصى ابن سيناء في كتاب السياسة بالبدء في تعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده عقليًّا لذلك، ليرضع اللغة العربية الأصلية، وترسخ في نفسه معالم الإيمان.

ذكر الفضل بن زيد «إذا تم للطفل خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغبه في مفاخر قومه، ولقنه مآثر آبائه وأجداده، فلما بلغ الحلم حمله على أعناق الخيل، فتمرس وتفرس ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ فسارع إليه».

دين الفطرة:

ومن الأمور المسلم بها لدى علماء التربية أن الطفل حين يولد يولد على فطرة التوحيد وعلى أصالة الطهر والبراءة، فإذا توفرت له التربية المنزلية الواعية والخلطة الاجتماعية الصالحة والبيئة التعليمية السليمة نشأ الولد على الإيمان الراسخ والأخلاق الفاضلة.

روى البخاري عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»، وما قرره الإمام أبو حامد الغزالي في طبع الولد على خصال الخير أو مبادئ الشر باعتبار قابليته وفطرته هو: «**والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإذا عوِّد الخير وتعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عوّد الشر أو أهمل إهمال البهائم شقى وهلك، وصيانته مسئولية والديه، وصيانته أن يؤدباه ويهذباه ويعلماه محاسن الأخلاق**». وقد قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن ... يعوّده التدين أقربوه

وتعليم الأولاد الأدب في الصغر مهم جدًّا، كما قال الشاعر:

قد ينفع الأدب الأولاد في صغرٍ ... وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ... ولا يلين ولو لينته الخشب

التدرج:

والتدرج في تعليم الصغار الذكر والتسبيح والصلاة مطلوب، قال سهل بن عبد الله التستري (وهو من علماء المسلمين): «كنت ابن ثلاث سنين استيقظ بالليل فانظر إلى خالي - محمد بن سوارة - وهو يصلي، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي كثيرة ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة سبع مرات، ففعلت ذلك شهورًا ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي. يا سهل، احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزايله سنتين، فوجدت لذلك حلاوة في

صدري، ثم قال لي خالي بعد ذلك: يا سهل من كان الله معه وناظر إليه وشاهده.. أيعصيه؟ إياك والمعصية». وصار سهل من كبار العارفين.

فليت الآباء والأمهات يحفظون هذه الكلمات البسيطة ويعلمونها أولادهم من سن ثلاث سنين، وحينها يستطيعون في فترة يسيرة من الزمن أن يكونوا جيلًا مسلمًا يخشى الله ويحس بمعيته وأنه دائمًا مطلع عليه.

ويحكى أن أحد المعلمين جاء لتلاميذه بحمام صغير، ثم طلب من كل واحد منهم أن يذبح الطير الذي معه في مكان لا يراه فيه أحد إطلاقًا، فجاءه أحدهم ولم يذبح طيره، وأخبره أنه مهما توارى عن الناس فإن الله مطلع عليه، فأشار المعلم لتلاميذه أن هذه فائدة هذا الدرس، الله شاهدك.. دائمًا.

وهذه التربية الإيجابية هي التي يلح عليها علماء التربية والأخلاق في الغرب، حتى يتحرر مجتمعهم من الإلحاد والرذيلة والجريمة والإدمان، لأن أساس محاربة الرذيلة والجريمة هناك هي بالقوانين وليس بالضمير، ولذا ازدادت معدلات الجريمة، وانتشرت الرذيلة انتشار النار في الهشيم؛ وذلك لأن الإيمان بالله هو أساس إصلاح الأولاد.

والفرد لو كان عنده رادع داخلي من ضمير فإن ذلك سيجعل الحاجة إلى القوانين والقضاء قليلة، وقد كانت هذه هي الحال في المجتمع الإسلامي الأول، عندما ولَّى عمر بن الخطاب عليًّا ﷺالقضاء، فكان نادرًا ما يأتي إليه المشتكون، وقد أجمع كل المربين وعلماء التربية على أن هناك صلة وثيقة بين الإيمان والخلق وبين الحقيقة والعمل، وسنبين في الجزء الخاص بالتربية الخلقية أثر الإيمان في تقويم سلوك الأولاد وتهذيب خلقهم.

الخلاصة:

إن مسئولية التربية الإيمانية عند الآباء والأمهات هي مسئولية مهمة وخطيرة، لكونها منبع الفضائل ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الأولاد في حظيرة الإيمان وسعة الإسلام، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسئولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لهدف نبيل، بل يعيش كالأنعام، ليس له هم إلا أن يسد جوعه ويشبع غريزته وينطلق وراء الشهوات.

وانظر إلى توجيه الرسول الكريم ﷺ للغلام – ابن عباس – الذي كان يركب خلفه، فقد روى ابن عباس: «كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال لي: «**يا غلام أني اعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»، فتأمل هذا التوجيه النبوي العظيم لهذا الغلام الذي لم يتعدَّ السابعة، وكيف أصبح من سادة الصحابة وأصبح حبر الأمة، رضي الله عنه وعن أبيه، وما كان هذا التوجيه إلا لأن النبي ﷺ أحس بنجابة هذا الغلام.

2-2 **مسئولية التربية الخلقية**:

التربية الخلقية هي مجموعة المبادئ الخلقية والفضائل التي يجب أن يتلقاها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه إلى أن يصبح مكلفًا ويتدرج شابًّا فرجلًا، ولا شك أن الفضائل الخلقية والسلوكية هي ثمرة من ثمرات الإيمان والتنشئة الدينية الصحيحة، ونتيجة للإحساس بمراقبة الله للعبد، تنمو لديه الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، ويعتاد على كل خلق كريم؛ لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره والمراقبة الإلهية التي ترسخت في وجدانه تصبح حائلًا بين الطفل أو الشاب وبين الأخلاق والصفات القبيحة والعادات السيئة، بل يصبح إقباله على الخير عادة متأصلة فيه، ويؤكد نجاح ذلك ما فعله محمد بن سوارة مع ابن أخته- التستري- في تربيته على مراقبة الله والخشية منه، فصلحت نفسه عندما ظل يردد وهو في فراشه: «**الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي**». **وإليك بعض التوجيهات النبوية في التربية الخلقية:**

- روى الترمذي عن أيوب بن موسى أن رسول الله ﷺ قال:«**ما نحل والد ولدًا من نحل أفضل من أدب حسن**»، وعنه ﷺ أنه قال: «**علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم**».
- أخرج البيهقي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه**».
- وروى ابن حبان عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب، وإذا بلغ تسع سنين عزل في فراشه عن**

أخته، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه، ثم أخذ بيده وقال له: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك، وأعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة».

شمول المسئولية:

ومسئولية الأبوين في تأديب أولادهما على الخير وتخليقهم بالمبادئ الرفيعة مسئولية شاملة، أي تشمل كل ما يتصل بإصلاح نفوسهم وتقويم اعوجاجهم، فهما مسئولان عن تحلي الأولاد منذ الصغر بأخلاق الصدق والأمانة والإيثار وإغاثة الملهوف واحترام الكبير وإكرام الضيف والإحسان إلى الجار وحب المسلمين، أي أخلاق السلوك والاستقامة جميعها، ومسئولان عن إيصالهم إلى الترفع عن دنايا الأمور وسفاسف العادات، وكل ما يحط بالمروءة والشرف والعفة، وهما مسئولان عن تعويدهم المشاعر الإنسانية النبيلة، والأحاسيس الكريمة، كالإحسان إلى اليتامى والبر بالفقراء والعطف على الأرامل والمساكين.

ظواهر خطيرة:

التربية الجيدة تعتمد بالدرجة الأولى على قوة الملاحظة، فجدير بالآباء والأمهات أن يلحظوا في أولادهم ظواهر أربعة، وأن يحذروا منها لكونها من أقبح الظواهر على التربية الخلقية:

الكذب والسرقة والسباب والميوعة.

الكذب:

ظاهرة الكذب من أقبح الظواهر في نظر الإسلام ولا بد أن نركز في التربية الخلقية على تخليص الأولاد من هذه الظاهرة القبيحة.

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»، وقال ﷺ: «**إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**» (رواه الشيخان).

وإذا كانت التربية تعتمد على القدوة الصالحة فجدير بالآباء والأمهات أن يتحروا الصدق مع أولادهم وأمامهم، فلا يكذبوا عليهم لإسكاتهم من بكاء أو ليفعلوا أمرًا ولا يقولوا لهم أن يجيبوا على الهاتف أو طارق الباب ويقولوا له: إن آباءهم غير موجودين بالمنزل، حتى لا يفقدوا الثقة فيهم، ويضعف التأثر بنصائحهم وتوجيهاتهم.

روى أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما أردت أن تعطيه**»؟ قالت: «**أردت أن أعطيه تمرة**»، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما أنك إن لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة**».

حكى أحد الآباء أن ابنه بدأ يكذب على زملائه في المدرسة لأن أباه لم يكن ذا حيثية في المجتمع، ثم بدأ يكذب على أبيه بشأن مصروفات زائدة في المدرسة ليشتري ما يتباهى به أمام زملائه، ثم صار يكذب عندما بدأ يذهب مع أصدقاء السوء إلى المقاهي لتعاطي المخدرات، وانتهى به الأمر في إحدى مصحات علاج الإدمان بعدما فصل من المدرسة.

ظاهرة السرقة:

وأما ظاهرة السرقة فهي لا تقل سوءًا عن ظاهرة الكذب، وهي متفشية في البيئات التي لم تتخلق بأخلاق الإسلام، وما يزيدها تفشيًا انتشار الفقر، والطفل إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وإن لم يتعود الأمانة وأداء الحقوق، فإنه سينحرف إلى السرقة وأكل أموال الناس بغير حق، وإلى الغش في المكيال والميزان، وإلى النصب وخداع البسطاء، ولهذا كان لزامًا على الأبوين أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله والخشية منه، وأن يعرفوهم بالنتائج الوخيمة للسرقة، وأن يبصروهم بما أعد الله للسارقين من مصير فاضح في الدنيا وعذاب أليم في الآخرة، وهذه بعض النماذج في محاربة الغش:

- أصدر الفاروق قانونًا يمنع خلط اللبن بالماء، وتحكي الحكاية المشهورة قول الأم لابنتها عندما طلبت منها خلط اللبن بالماء فذكرتها بمنع أمير المؤمنين لذلك؛ فقالت أمها إن عمر لا يرانا، فردت الابنة بالجواب المفحم: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا **فربه يرانا**.
- وقال عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة فمر بنا غلام يرعى الغنم، فقال له عمر ممتحنًا: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إنها مملوكة

لسيدي، فقال عمر: قل لسيدك أكلها الذئب، فقال الراعي: فأين الله؟ فبكى عمر ثم غدا مع الراعي فاشتراه من سيده وأعتقه.

- ويحكي أب معاصر أن ابنه اعتاد أن يسرق من زملائه في المدرسة، ولم ينجح أي واحد في معرفة السارق، وكان أبوه معجبًا بذكائه وخفة يده، وكان يسر عندما يسمع حكايات ابنه ويضحك كثيرًا، وكبر الغلام وصار رجلًا واستمر داء السرقة معه حتى ضبط وهو يسرق من محل ملابس في سوق تجاري، وأدين في المحكمة مما قضى على مستقبله المهني.

السباب والشتائم:

أما ظاهرة السباب والشتائم فهي متفشية في الأولاد لسببين؛ **الأول:** القدوة السيئة حيث يسمع الولد من أبيه ومن جده وأعمامه السباب باستمرار، **والثاني:** الخلطة الفاسدة حيث يترك الولد لقرناء السوء ورفقاء الفساد، فمن الطبيعي أن يتعلم منهم لغة اللعن والسباب، أضف لهذين السببين أن لغة الناس في الشارع أصبح يغلب عليها الفحش في القول، والأدهى أن السباب صار في الإعلام كذلك، ليس في الأفلام والمسلسلات فحسب، وإنما في البرامج الحوارية كذلك؛ ولهذا يجب على الآباء والأمهات أن يعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب وتهذيب اللسان وجمال التعبير، ويوصوا بذلك كل أقربائهم، كما يجب أن يجنبوهم اللعب في الشارع وصحبة الفاسدين وأولاد الشوارع حتى لا يتأثروا بهم ويكتسبوا من عاداتهم، ويجب أن يضغطوا على ناظر المدرسة حتى تعود اللغة الراقية إلى المدارس، ويعاقب كل تلميذ يتفوه بلفظ نابي، ويجب أن يتشكل رأي عام ضاغط لتعود لغة الإعلام إلى ما كانت عليه أيام فاروق شوشة وصفية المهندس، حيث كان الكلام باللغة العربية، وكانت هناك برامج لتلاوة الشعر وتذوقه، ويستحسن أن يلقن الآباء والأمهات أولادهم أحاديث نبوية مثل:

- «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» (رواه الشيخان).
- «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه، ويسب أمه فيسب أمه**» [رواه البخاري].

- «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**» [رواه الترمذي].

وكان أولاد السلف نماذج رائعة في أدب الكلام وحسن الخطاب وجمال القول فحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك فقدمت عليه القبائل ودخلوا عليه وفيهم درواس ابن أحدهم وهو ابن أربع عشرة سنة، فأحجم القوم عن الكلام وهابوا هشامًا، ووقعت عينا هشام على درواس فاستصغره وقال لحاجبه: «ما يشاء أحد أن يصل إليَّ إلا وصل حتى الصبيان»، فقال درواس: «يا أمير المؤمنين إن دخولي لم يخل بك شيئًا وقد شرفني، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه، وأن الكلام نشر والسكوت طي، ولا يعرف الكلام إلا بنشره»، فأعجب هشام كلامه وتبسم، وقال له: «فانشر لا أبا لك»، فقال درواس: «يا أمير المؤمنين أصابتنا ثلاث سنين: فسنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة نقت العظم، وفي أيديكم فضول أموال، إن كانت لله ففرقوها على عباد الله، وإن كانت لعباد الله فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد، لا حياة للجسد إلا به»، فقال هشام: «ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث لنا عذرًا»، وأمر لهم بمائة ألف درهم ولدرواس بمثلها، فقال: «يا أمير المؤمنين ردها إليَّ أعطه باديتي، فإني أكره أن يعجز ما أمر بهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم».

الميوعة والانحلال:

أما ظاهرة الميوعة والانحلال فهي من أقبح الظواهر التي تفشت في أولاد المسلمين وبناتهم في الفترة الأخيرة، حيث انساقوا وراء التقليد الأعمى للغرب، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية دون رادع من دين أو وازع من ضمير، وقد ظن بعض ذوي العقول الفارغة أن آية النهضة تقليد الغرب في الانحلال وليس في الجودة، وعلامة التقدم التحرر الشائن وليس الإتقان، ومقياس الخروج من أسر التخلف التقليد الأعمى للغرب في الهزل، أما تقليده في الجد والعمل فلا، وقد حذر الرسول الكريم ﷺ من التقليد الأعمى عندما قال ﷺ: «**خالفوا المشركين حفوا الشارب واعفوا اللحى**» (رواه البخاري)، وروى الترمذي أنه ﷺ قال: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تتشبهوا باليهود والنصارى**»، وفي رواية لأبي داود: «من تشبه بقوم فهو منهم» وكتب عمر بن الخطاب إلى المسلمين المقيمين في بلاد فارس: «إياكم وزي أهل الشرك».

ولينتبه الآباء والأمهات إلى أن ثورة الاتصالات لها أكبر الأثر في افتتان أبنائنا وبناتنا بالمغنين والممثلين عند الغرب، وكانت السينما هي أداتهم لإفساد نسائنا وبناتنا منذ أول القرن العشرين، وكما رأينا في العادة الثانية فإن الطفل الأمريكي أصبح يجلس أمام التفاز سبع ساعات يوميًّا، ويجلس مع أبيه خمس دقائق ومع أمه عشرين دقيقة في المتوسط، وفي بلادنا انتشر الجلوس أمام هذا الجهاز الخطير انتشارًا كبيرًا، وأضحت الأفلام والمسلسلات هي التي تشكل وجدان الأمة – وبالذات النساء – بدلًا من دروس الدين وحلقات العلم، وأصبح الفنانون ملء السمع والبصر، أما العلماء فلا يهتم به أحد، ويستضاف الفنانون في برامج التلفاز ليدلوا برأيهم في السياسة والثقافة والمشكلات الاجتماعية، وفي مارس 2014 م، تم اختيار راقصة مشهورة لتكون هي الأم المثالية في نادي مصري، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما ننتبه على تأثير الشبكة (الإنترنت) على الشباب، حيث أصبح كل ما يريدون الوصول إليه من أخبار الفنانين والفنانات وأغانيهم وأخبار الرياضة ومباريات كأس العالم متاح بالمجان، بل والأدهى أن هناك كثيرًا من المواقع الإباحية تعرض أفلامًا ماجنية تحث على الرذيلة مجانًا أيضًا، وأصبح شغف الشباب والشابات بالمحادثة على النت والدخول إلى مواقع التواصل الاجتماعي(فيس بوك وتويتر وغيرها) يستغرق منهم الساعات يوميًّا، والله أعلم بما يقولون في هذه المحادثات التي تستمر لساعات دون رقيب من أب أو أم.

فاستشرى إفساد هاتين الوسيلتين لشبابنا ونسائنا وتعليمهم الميوعة والخلاعة والعري، فلم ينجُ منهما إلا من رحم ربك، وعلى الأبوين تحديد وقت محدد لا يتعدى ساعتين سواء لمشاهدة التلفاز أو استعمال النت، مع تحديد البرامج والأفلام والمسلسلات التي يمكن لأولادهما مشاهدتها للترفيه، بحيث لا يكون فيها خروج على الدين أو التقاليد، ولا بد أن تكون الأم قدوة في هذا الصدد، ولا بد أن يبذل الأبوان مجهودًا ووقتًا للجلوس مع أولادهما في هوايات مفيدة أو قراءات جيدة، أمام استسهال ترك الأولاد للجلوس أمام التلفاز بينما الأم تطهو أو تنظف المنزل، والسماح للمراهقين بالمحادثة على النت بالساعات فقد أدى إلى تقطيع أواصر التواصل بين الآباء والأبناء، بل وبين الزوجين كذلك حيث يعود الزوج من عمله الإضافي منهكًا فيتناول عشاءه أمام التلفاز، أو يعود فيجد زوجته وبناته يتابعون المسلسل بشغف واهتمام، فلا كلام ولا تواصل وإنما جهاز سحر أعين الناس واستهلك كل

وقتهم، وأثر في وجدانهم إلى الأسوأ، لأن أهل الإعلام يهمهم المال من الإعلانات، ويهمهم مخاطبة الغرائز لأنها تتضمن زيادة نسبة المشاهدة.

وقد وضع الرسول الكريم منهجًا قويمًا ومبادئ صحيحة في تربية الأولاد على الخلق القويم على المحاور الآتية:

أ. النهي عن التشبه والتقليد الأعمى:

قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود والنصارى**».(رواه الترمذي)، وروى أيضًا عنه ﷺ أنه قال: «**لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم** ».

ب- النهي عن الاستغراق في التنعيم:

في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى المسلمين المقيمين في بلاد فارس «**إياكم والتنعم وزي أهل الشرك**»، وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل مرفوعًا: «**إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**». والمقصود بالتنعم الاستغراق الزائد في الملذات والتقلب الدائم في النعيم.

ج- النهي عن الموسيقى الماجنة والرقص الخليع:

روى ابن عساكر عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع إلى صوت في الجنة**». ولا يخفى على العاقل ما في الاستماع إلى الغناء الماجن الذي يثير الغرائز من أثر على الولد المراهق، وبالذات لو كان في المراقص والنوادي الليلية التي تكثر بها الخلاعة وشرب الخمر.

كما لا تخفى الآثار المدمرة لبعض قنوات التلفاز، التي تعتمد على الغناء الماجن والرقص الخليع والتكشف، وهي قد أصبحت بالعشرات، وإرسالها مستمر طوال الليل والنهار، وكذلك الأفلام الفاسدة التي تشجع على الزنا والفاحشة وتزيينها، وتهييج غرائز الشباب الذي لا يستطيع الزواج، فانتشر التحرش بالبنات، وانتشر الزواج العرفي وانتشر ما هو أسوأ وهو الزنا.

د- النهي عن التخنث والتشبه بالنساء وتشبه النساء بالرجال:

روى البخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء**».

ه- النهي عن السفور والتبرج والاختلاط:

لأن ذلك يؤدي إلى النظر إلى المحرمات، والنظر سهم من سهام إبليس، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: 59].

وقال: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾ [النور: 30، 31]. والخمار ما يستر الرأس والنحر والعنق.

ولا شك أن الآباء مسئولون عن عدم خروج بناتهم إلا بالخمار وبدون زينة ظاهرة، وعليهم تربية الأولاد والبنات على غض البصر وعدم الاختلاط بالأجانب إلا في وجود محرم، وعليهم / وعليهن غض البصر على ما يظن أنه فتنة حتى يصبح ذلك عادة عندهم، فقد روى أبو داود والترمذي عن أم سلمة قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ: احتجبا منه، فقلنا: يا رسول الله هو أعمى لا يبصرنا، فقال النبي ﷺ: **أعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟**

فانظر إلى دقة الرسول الكريم ﷺ في تعريف غض البصر، وانظر إلى غيرته ﷺ على نسائه.

هذه بعض القواعد التربوية والمنهج القويم الذي وضعه الإسلام للوصول إلى سلامة أخلاق الأولاد، وتعويدهم الجدية والرجولة، وتعويد البنات العفة ومكارم الأخلاق. ولعلنا نعتبر بأحوال الأمم الأخرى عندما لم يأخذوا بهذا المنهج، فهذا كيندي رئيس الولايات المتحدة يصرح سنة 1962 هذا التصريح العجيب: «إن مستقبل أمريكا في خطر، لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات (وهل هذا الرئيس وزوجته ليسا غارقين في الشهوات!!)، ولا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، ومن بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين؛ لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية»، فهل نعتبر بهذا الكلام، ولا نسير في طريق الهاوية الذي سار في الغرب فأدى إلى الانحلال الخلقي، وسيؤدي إلى انهيار حضارتهم:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعلى الآباء والأمهات الاهتمام وعدم إغفال دور المراقبة الدقيقة في التربية الخلقية، فالانحراف الخلقي والسلوكي له أسباب، منها:

- الأب الذي يترك لأولاده الحرية في أن يخالطوا من يشاءون وأن يفعلوا ما يريدون دونما سؤال ولا رقيب ولا حسيب.

- الأب الذي يسمح لزوجته وبناته أن يشاهدوا الأفلام الغرامية والمسلسلات المصرية والتركية التي توجه إلى الخيانة الزوجية والعشق الحرام، وتزين الزنا واتخاذ الأخدان.

- الأب الذي لا يراقب استخدام أولاده في استخدام النت، فقد يدخلون إلى المواقع الإباحية أو يستعملون مواقع المحادثة في أحاديث ماجنة مع الجنس الآخر، وقد حكى لي أب فاضل وأستاذ في كلية الطب أن ابنته ذات الثمانية والعشرين عامًا تعرفت على رجل على النت، واستمرا يتخاطبان عامًا كاملًا حتى أحبته وأصرت على الزواج منه، ولما علمت أنه مصري يعمل بالكويت أصرت على السفر معه بعد الزواج، ورغم أن والدها دأب على أن يقول لها: إنهم لا يعرفون عنه شيئًا. إلا أنها أصرت أنها تحبه ولا شيء آخر يهم، ولما تزوجته وسافرت معه اكتشفت أنه متزوج وله أولاد، وعندما اعترضت أساء معاملتها حتى أنها أصرت على الطلاق الذي حصلت عليه بعد سنة.

- الأب الذي يسمح لأولاده بشراء المجلات الماجنة ومطالعة القصص المثيرة ومشاهدة الأفلام الإباحية، أو لا يراقب أولاده ليتأكد من عدم حدوث ذلك.

- الأب الذي يتساهل في حجاب أهله وبناته، ويتغاضى عن سفور البنات وتبرجهن بحجة أنهن في سن الزواج ويردن عريسًا، ويتغافل عن مخالطتهن لزملائهن الأجانب اختلاطًا مشينًا، ويفسح لهن المجال في الخروج مع من يشأن، كل ذلك بحجة الزواج، رغم أن الولد قلما يرضى بالتقدم للبنت التي يصاحبها أو يخرج معها كثيرًا.

- الأم التي لا تراقب أولادها وبناتها في ذهابهم إلى مدارسهم وكلياتهم ودروسهم ولا تتأكد من انتظامهم الدراسي، ولا تتابع ذلك مع مدرسيهم.

- الأبوان اللذان لا يلقيان نظرة على مكتبة أولادهما، وأجهزة الحاسب الشخصي الخاصة بهم، ولا يكلفان نفسيهما جهدًا لعقد لقاءات فردية مع كل منهم، وعمل لقاء للأسرة

أسبوعيًّا، بحيث يحس الأولاد بالمتابعة والاهتمام، ويصاحبونهم عندما يصلون لسن التكليف عملًا بالأثر، هؤلاء لن يعرفا مشكلات أولادهما إلا بعد أن تتفاقم، ولن يكونا قد أديا الأمانة التي وضعها الله في عنقيهما، كما يقول الرسول ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**».

وليعلم الأبوان أنهما لو قصرا في حق أولادهما في التوجيه والتربية الخلقية فإنهم سينشأون على الميوعة والانحلال والخلاعة، ويتربون على الفساد وسوء الخلق. فيا كل أبوين، راقبا الله في أولادكما، وأدوا ما عليكما من واجب نحوهما، وكفى بكما إثمًا إذا ضيعتما من تعولان.

2-3 مسئولية التربية الصحية والجسمانية:

يجب على الآباء والأمهات العناية بالجوانب الصحية والجسمانية لأولادهما، لينشأ الأولاد على قوة الجسم وسلامة البدن ومظاهر الصحة. ومنهج الإسلام في ذلك يمكن صياغته في النقاط التالية:

1- وجوب النفقة على الأهل والولد:

يقول تعالى: ﴿**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: 233]، ويقول الرسول ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**» (رواه مسلم). فإذا كان له أجر في التوسعة على الأهل والعيال فإنه بالتالي عليه وزر وإثم إذا أمسك عن الإنفاق عليهما، وقتر على أهله وأولاده، ومن واجب الأب تهيئة الغذاء الصالح والمسكن الصحي والكساء الكافي لأهله وأولاده، حتى لا تتعرض أجسامهم للأسقام، وتنهك أبدانهم الأوبئة.

2- اتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم :

فمن هدي الإسلام في الطعام الحذر من التخمة والنهي عن الزيادة في المأكل والمشرب ﴿**وكُلُوا واشْرَبُوا ولَا تُسْرِفُوا**﴾ [الأعراف: 31]، وروى أحمد والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه..**».

ومن هديه ﷺ في النوم مسح الفراش بطرف الثوب قبل النوم، والنوم على الجانب الأيمن، والنهي عن النوم على البطن، والحث على الوضوء قبل النوم، وذكر الله في الفراش حتى يأتيه النوم.

3- **التحرز من الأمراض السارية المعدية**:

روى البخاري أن رسول الله ﷺ: قال: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»، وروى أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يوردن ممرض على مصح**» ولذا كان لزامًا على الأم عزل ولدها المريض عن بقية الأولاد، بألا ترسله إلى المدرسة حتى لا ينتشر المرض.

4- **التداوي**:

لما للتداوي من أثر سريع في سرعة الشفاء، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «لكل داء دواء، فلو أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله»، وقال ﷺ: «**يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد قيل: ما هو؟ قال: الهرم**». ولذا لا بد من الفحص الدوري، وسرعة استشارة الطبيب، والأخذ بأسباب التداوي، لأن إهمال أمراض معينة عند الأطفال تترك أثرًا في أجسامهم تلازمهم بقية حياتهم.

5- **تطبق مبدأ لا ضرر ولا ضرار**:

وبناءً على هذا المبدأ يجب على الأمهات أن يرشدن أولادهن إلى التقيد بالقواعد الصحية والوسائل الوقائية للحفاظ على الصحة وتنمية قوة الجسد، وعليهم أن يستعينوا بالمختصين في الطب الوقائي، ويطبقوا إرشاداتهم، لأن الوقاية دائمًا خير من العلاج.

6- **تعويد الولد على ممارسة الرياضة والفروسية**:

دعا الإسلام إلى تعليم الأولاد السباحة والرمي وركوب الخيل، ودعا خبراء التربية الرياضية إلى رياضة الجمباز للبنات، ولا شك أن تعويد الأولاد على الرياضة سيجنبهم في فترة المراهقة كثيرًا من المشكلات، ويشغل وقتهم فيما فيه مصلحة أبدانهم، روى الطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو، إلا أربع خصال: مشى الرجل بين الغرضين** (الرمي)، **وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلمه السباحة**».

7- **تعويد الولد عن التقشف والخشونة**:

ليقوم الولد -عندما يصل لسن الرشد- بواجب الجهاد والدعوة إلى الله وتحمّل الأذى في سبيلها، روى الطبراني عن أبي حدرد مرفوعًا: «**تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا**»، تمعددوا: انتسبوا إلى جدكم عدنان في الخشونة والفصاحة، انتضلوا: ارمو بالسهام، ويكفي كقدوة أسرة وحياة رسول الله ﷺ وتقلبه في خشونة العيش والتقشف حتى أنه كان يمر الهلال ثم

الهلال ثم الهلال ولا يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، فقال السائل: وماذا كان طعامكم يا أماه، قالت عائشة -رضي الله عنها-:«الأسودان التمر والماء».

تلك هي أسس التربية الصحية والجسمانية، فإن اتبعها المربون نشأ جيل قوي الجسم متين الخلق.

ظواهر خطيرة:

ويجب التنبه لظواهر خطيرة في فترة المراهقة حتى لا يقع الأولاد في شرورها، منها: التدخين والمسكرات والمخدرات والعادة السرية والزنا واللواط. والعياذ بالله، والحمد لله أن الأزهر الشريف قد أصدر فتوى بتحريم التدخين ناهيك عن كل مسكر ومخدّر، والعادة السرية يكون العلاج منها يكون بالزواج المبكر، فإن لم يجد فبكثرة الصوم وهذا أيضًا علاج لتفشى الزنا بالإضافة إلى منع منابع الآثارة الجنسية والفاحشة من إعلام فاسد ونت تنشر الرذيلة ولباس فاضح في المصايف وأزياء ماجنة في الشوارع، ولا شك أن هناك دورًا على الدولة؛ لأن دور الآباء والأمهات وحده لا يكفي أمام هذا الطوفان من الرذيلة، فلا بد أن تحارب الدولة التدخين والمخدرات حربًا لا هوادة فيها. ولا بد من ميثاق شرف ورقابة على وسائل الإعلام المرئية والمقروءة، والرقابة على النت لحجم المواقع الإباحية، ولكن تحصين الأولاد والبنات ضد هذه الأوبئة أولى، لأنه مهما كانت الرقابة على الإعلام فلن تمنع الفضائيات الأجنبية من التسلل إلى البيوت، ومهما كانت الرقابة على النت والمواقع الإباحية فيمكن دائمًا تسلل الثغرات والمرور منها، ولذلك فلا بد من تربية الأولاد على مراقبة الله وخشيته، حتى إذا وصلوا لسن المراقبة أصبح لديهم رقيب داخلي، وأصبح عندهم حصانة من هذه الأوبئة الضارة، ولا شك أن من أنجح وسائل منع التأثير الضار لهذه الظواهر الخطيرة على الأولاد هو ملئ وقت الفراغ بما ينفع، لأن الشاب الذي عنده فراغ وقدرة مالية معرض للغواية كما قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجِدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وقول علماء التربية أن المراهق إذا اختلى بنفسه وقت فراغه ترد عليه الأفكار الحالمة والتخيلات المثيرة للشهوة، والعلاج أن لا يترك له وقت فراغ حتى في الإجازة الصيفية، فيملأ وقته إما بالرياضة التي يقوي بها جسمه أو بالمطالعة التي ينمي بها عقله أو بدروس

الدين التي يهذب بها خلقه أو بالنزهة البريئة مع رفاق مأمونين التي يسعد بها قلبه، أو بمشاهدة ما هو مفيد على النت أو التلفاز التي يزيد بها علمه، أو بعبادة التفكر في كتاب الله المقروء أو المرئي التي يغذي بها روحه.

ومن وسائل الوقاية الناجحة اختيار الرفقة الصالحة من أبناء العلماء أو الصالحين أو أصدقاء الأب والأم، الذين يذكرونه إذا نسي وينصحونه إذا انحرف، ويعينونه إذا انصلح، وهذا ينطبق على الولد والبنت على حد سواء، وصحيح أن الرفقاء الصالحين في هذا الزمان قليلون، ولكن لا بد أن يجتهد الآباء والأمهات في البحث عنهم، وأن يحرصوا على صداقة أولادهم معهم، ولا شك أن تحلي هؤلاء الأصدقاء بأخلاق الإسلام سيكون أقوى دافع للأولاد للتأسي بهم، ولو شارك الأولاد في مقرأة بالمسجد أو رحلة بجمعية دينية لوجدوا كثيرًا من الأقران الذين يتخلقون بأخلاق الإسلام، وهذا دليل أنه لن يصلح دنيانا إلا الدين كما قال الشاعر إقبال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحمِ دينا

ومن عاش الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا

مخاطر الرذيلة:

ومن ضمن مسئوليات التربية الصحية والجسمانية وقاية الأولاد من المخاطر الحياتية، فلا بد أن يأخذ الأبوان بأسباب الأمن الصناعي والرقابة على مصادر الخطر في البيت، حتى لا يتعرض أولادهم للأخطار في بيئة أصبحت بها مخاطر عديدة، وقد جاء في كتاب «المشكلات السلوكية عند الأطفال»: إن هناك الكثير من الأسباب الوقائية التي تساعد في تقليل الحوادث المنزلية، وقال: إن حماية الطفل في السنين الأولى تقع كاملة على عاتق الأهل، وهم مسئولون عن أي تفريط، ففي السنة الأولى لا بد أن تراقب الأم وليدها في جميع الأوقات، و في السنة الثانية يحسن البدء بتعليم الطفل الحذر من المخاطر، وذلك بتعليمه بعض الدروس اللطيفة حتى لا يلمس حديد المدفأة أو الأواني الحارة أو لهيب الموقد، وإذا رأت الأم طفلها يوشك أن يقع من على كرسي- وعلى الأرض سجاد - وليس شيء يؤذيه فلا بأس من تركه يسقط مع أخذ الحيطة، وتنتهز الأم الفرصة لتعيلمه الحذر من السقوط، وعلى العموم يجب أن يكون هناك توازن بين التعليم والحماية، وعلى الأهل أن يفطنوا إلى ما

يمكن أن يتعرض له الطفل أثناء اللعب في السنة الثالثة، وأن يأخذوا الاحتياطات اللازمة، وقد عرض صاحب الكتاب بعض النصائح في هذا الصدد مثل :

- وضع الأدوية وكل ما هو سام من مبيدات ومنظفات في خزانة أو مكان أمين .
- التبرع بالأدوية الزائدة عن الحاجة وعدم تركها في متناول الأطفال، ولا يستعملها البالغون أمام الطفل، لأن الأطفال مولعون بالتقليد.
- وضع حاجز أمام كل مصادر الاحتراق أو الصعق بالكهرباء، وأمام السلم الداخلي إن وجد (في الفيلات).
- عدم السماح للطفل باللعب بالكبريت أو الولاعة أو ماكينة الحلاقة أو الخلاط.. إلخ.
- الحذر من الغلاية وأدوات الطهي التي بها ماء أو زيت يغلي، ومنع الطفل من الوصول إليها في أي وقت، حتى أوقات الصلاة أو فتح الباب أو الرد على الهاتف.
- إبعاد كل الآلات الحادة عن متناول الطفل، مع الاحتراس من أخطار الأدوات الكهربائية والحذر من الألعاب النارية الخطيرة (ناهيك عن العبث بالسلاح).
- عدم السماح للطفل بممارسة الألعاب الخطيرة بالحبل أو أكياس البلاستيك وإدخال الرأس فيها، وكل ما يؤدي إلى الاختناق، ولو على سبيل المزاح.
- نهي الطفل عن الركض وفي فمه طعام ومنعه من وضع أشياء في فمه قد تنزلق إلى بلعومه، والحذر من شوك السمك وأي شيء يقف في الحلق.
- لا يسمح للأم أن ترضع ابنها من ثديها والاثنان نائمان على السرير وبالذات لو كانت الأم مرهقة؛ لأن استغراقها في النوم قد يؤدي إلى اختناقه.
- التأكد من عدم قدرة الطفل على فتح النوافذ وعدم وجود كراسي بجوارها تسمح بتسلقها أو تسلق سور البلكونة.
- الانتباه عند تشغيل الآلات الميكانيكية والأجهزة الكهربائية لاسيما الغسالات ومفارم اللحم في وجود الأطفال، لأنهم يمكن أن يشغلوها بمفردهم في غيبة الرقيب.

- الانتباه إلى كون الباب الخارجي مغلقًا وعدم تركه مفتوحًا حتى للحظات لإحضار النقود؛ لأن الطفل قد يخرج ويصاب بأذى.
- عدم ترك الأطفال دون العاشرة بمفردهم ولو لحين تشترى الأم الطلبات من السوق؛ لأنه قد يحدث ماس كهربائي يؤدي إلى حريق أو تنقطع الكهرباء (ليلًا).

وقد نشرت الصحف المصرية في يوليو 2014 أن ثلاثة أطفال (5 سنوات و3 سنوات وسنة) ماتوا محترقين لأن الأم ذهبت مع أخيها - بينما الأب في عمله - لشراء بعض الطلبات، ولذلك يجرم القانون الإنجليزي ترك الأطفال بمفردهم إذا كان أكبرهم دون العاشرة.

كل ذلك من الرقابة اللازمة على الأب والأم، ولا يمنع حذر من قدر ولكننا أمرنا أن نعقلها ثم نتوكل، وأن نأخذ بالأسباب، كل الأسباب.

2-4 **مسئولية التربية العقلية**:

المقصود بالتربية العقلية تكوين فكر الأولاد بكل ما هو نافع من العلوم والثقافة والأدب حتى ينضجوا فكريًا، ويتكون لديهم العقل المثقف، وهذه المسئولية مكملة للمسئوليات السابقة: **فالتربية الإيمانية تأسيس، والتربية الصحية والجسمانية إعداد وتكوين، والتربية الخلقية تخلق بعد تحويل، أما التربية العقلية فهي توعية وتثقيف وتعليم**، وهذه المسئوليات الأربع وما بعدها متضافر في التكوين الشامل للولد، ليصبح إنسانًا صالحًا يقوم بواجبه ويؤدي رسالته وينهض بمسئولياته.

ومسئولية الأبوين في التربية العقلية تتركز في أمور ثلاثة:

أ- الواجب التعليمي.

ب- التوعية الفكرية.

جـ- الصحة العقلية.

أ- مسئولية الواجب التعليمي:

وهي مسئولية بالغة الأهمية والخطورة، والإسلام حمل الآباء مسئولية كبرى عن تعليم الأبناء، وتحبيبهم في الاغتراف من معين الثقافة والعلم، وبهذا تتفتح المواهب ويبرز النبوغ وتظهر العبقرية، وقد كانت أول آية نزلت على قلب رسولنا الكريم ﷺ هي: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق: 1]، واقرأ هنا بمعنى تعلم لأن الرسول ﷺ ليس بقارئ، وهذا أكبر تمجيد

لحقيقة القراءة والعلم، وقد أثنى القرآن على طالب العلم في أكثر من موضع: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: 114]، ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة: 11].

وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**» وقال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» (رواه مسلم)، وانطلاقًا من هذا التوجيه القرآني والإرشاد النبوي انكب المسلمون في عصر الرسالة على العلوم الكونية والشرعية، واعتبروا تعلم العلم النافع من قبيل الفرص والواجب، وأفرزوا علمًا في العصور التالية كان منارة للعالم أجمع وقد اعترف المنصفون من المستشرقين بذلك.

يقول شريتي: «ظلت أوربا نحو ألف سنة تنظر إلى الفن الإسلامى كأنه أعجوبة من الأعاجيب»، (يقصد فن العمارة)، وقال لين بول في كتاب العرب وإسبانيا: «فكانت أوربا المظلمة تغط في الجهل والحرمان، بينما كانت الأندلس تحمل أمانة العلم وراية الثقافة»، ولذلك أرسل جورج الثالث ملك إنجلترا ابنته الأميرة ومجموعة من النبيلات إلى بيت خليفة المسلمين في الأندلس لينهلوا من العلم، ويقول دورى المستشرق الهولندى:«إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أمي، بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوربا إلا الطبقة العليا من الناس»، ويقول ريفولت في كتاب تكوين الإنسانية: «العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة العربية إلى العالم الحديث».

والإسلام يجعل التعليم إلزامًا وإجباريًّا لحديث رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»، وإطلاق لفظ العلم معناه كل العلم: شرعي وكونى، وقد سن الإسلام مجانية التعليم سواء على صعيد الدولة أو على صعيد الأفراد، وكان من نتيجة ذلك أن أقبل الناس على العلم والتعليم بشكل لا نظير له في تاريخ البشرية، يقول أحد المفكرين الغربيين:«إن الدولة الإسلامية سبقت العالم كله في نشر التعليم مجانًا للمواطنين جميعًا بلا تمييز أو محاباة، فكانت المدارس مفتوحة على مصراعيها للشعب جميعًا في المساجد وفى دور العلم في كل البلاد التي دخلت الإسلام، ومن هذا التعليم الحر المجانى المباح كانت الإقامة بالمسجد الأزهر بمصر، ومن الواجب التعليمى الذي كان يحرص عليه الآباء والمربون من

سلف هذه الأمة هو التركيز بالدرجة الأولى على تعليم الأولاد - أول ما يدخلون في سن التمييز- القرآن الكريم والسيرة النبوية؛ ثم كل ما يحتاجون إليه من العلوم الشرعية والشعر وأمثال العرب.

وفيما يلي طرف من أقوالهم: أوصى عقبة بن أبى سفيان مؤدب ولده أن يعلمه كتاب الله، ويروي له من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه، وذات مرة كلم المفضل بن زيد أعرابية ومعها ابنها، فأجاب الولد بمنطق أعجبه فسألها عنه وعن تأديبه فقالت: إذا بلغ خمس سنين أسلمته إلى المؤدب، فحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، وقص عليه مفاخر قومه، وطلب تاريخ آبائه وأجداده، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل، فتمرس وتفرس ولبس السلاح، ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصاروخ»، وقال الإمام الشافعي: «من تعلم القرآن الكريم عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة سما لسانه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه».

ومن القواعد التي وضعها الإسلام في تعليم الأولاد البدء بتعليمهم في مرحلة الطفولة الأولى، حيث يكونون أصفى ذهنًا وأقوى ذاكرة وأنشط في التعليم.

فما حظ المرأة في التعليم؟ أجمع العلماء والفقهاء سلفًا وخلفًا أن ما يجب تعلمه على سبيل فرض العين فالمرأة فيه كالرجل سواء بسواء، وذلك لسببين: الأول أن المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية، والثاني: أن المرأة كالرجل في نيل الثواب الأخروي، وتعليم المرأة يجب أن يهتم بإعدادها الإعداد المناسب لكونها مدرسة الأجيال، كما قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

وكان الرسول ﷺ يهتم بتعليم النساء، ويسمح لهن بالاستفسار عما يشئن من أمور الدين، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه أن أسماء بنت يزيد أتت النبى ﷺ فقالت له: «إني رسول من ورائي من جماعة النساء كلهن يقلن قولي: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، وإن الرجال فضلوا بالجمعة وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم، أنشاركهم في الأجر يارسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: هل سمعتم مقال امرأة أحسن سؤالًا عن دينها من هذه؟ ثم قال: انصرفي يا أسماء وأعلمي من

وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشارًا بما قال ﷺ.

ومما يدل **على اعتناء الإسلام بالبنت وتعليمها** هذه الأحاديث: روى الترمذى أنه ﷺ قال: «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة**»، وثبت في الصحيحين أن النبى ﷺ خص النساء بأيام يعلمهن فيها مما علمه الله، وذلك لما جاءته امرأة فقالت: «يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتي فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال ﷺ: اجتمعن يوم كذا وكذا فاجتمعن فجاء رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله.

جاء في كتاب فتوح البلدان أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب كانت تتعلم الكتاب في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى الشفاء العدوية، فلما تزوجها الرسول ﷺ طلب من الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه، والقاضي عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته، فإذا كان بعد العصر دعا ابنته وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية أسد بن الفرات بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة، وقد تزوج تلميذ لسعيد بن المسيب بابنته فلما أراد أن يذهب لدرس أستاذه بعد يومين قالت له زوجته: اجلس أعلمك علم سعيد.

وقد وصلت المرأة في ظل الإسلام إلى أسمى درجات العلم والثقافة، ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم منذ العصور الإسلامية الأولى، فكانت منهم الكاتبة والشاعرة كأمثال: علية بنت المهدي، وعائشة بنت أحمد بن أحمد بن قادم، وولادة بنت الخليفة المستكفي بالله، وكان منهن الطبيبة كأمثال زينب طبيبة العيون وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر، وكان منهن المحدثات كأمثال كريمة المروزية والسيدة نفيسة ابنة محمد، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر -و هو أحد رواة الحديث- أن عدد شيخاته وأستاذاته من النساء كن بضعًا وثمانين أستاذة، وكان فيهن أستاذات للإمام البخاري وابن حبان، وهذا دليل على ما تمتاز به التربية الإسلامية من العناية بالعلم والنبوغ الفكري والثقافة المتنوعة لدى الرجال والنساء على حد سواء.

و يستحسن الفصل بين الرجال والنساء في حقل التعليم وغيره، وقد سئل سحنون عن التعليم المختلط ذكورًا وإناثًا قال: أكره تعليم الجواري مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم، وروى

الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم والدخول على النساء، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت الحمو** (أي أقارب الزوج) **قال: الحمو الموت**». وقد أدى الاختلاط الشديد في الغرب إلى انتشار الزنا انتشارًا فاحشًا، حتى أن إحصائية نشرت من أربعين سنة (سنة 1979) ذكرت أن ثلاثة أرباع الرجال في أوربا يخونون زوجاتهم، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء نفسه، وفي كثير من الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته وتعلم الزوجة بخيانة زوجها، ومع هذا تستمر العلاقة الزوجية، وفي الإحصائيات عن العلاقات قبل الزواج فإن من 80 إلى 85٪ من الرجال البالغين لهم خليلات.

وفي ألمانيا الآن -وكثير من دول أوربا- أصبح العرف يقبل أن يقيم من يريدان الزواج معًا لمدة سنة أو سنتين قبل الزواج ليتأكدا من وجود توافق جنسي بينهما، والقصص الجنسية للزعماء السياسيين (في المكتب البيضاوي) في الغرب أصبحت على كل لسان، فهذا الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الذي مارس الفاحشة مع متدربة في البيت الأبيض، وهذا رئيس الوزراء الإيطالي بيرلسكوني الذي تخطى السبعين وتجمعه علاقة بفتاة من أصل عربي في الثامنة عشرة من عمرها، ورؤساء وزراء فرنسا الحالي والسابق دخلوا قصر الإليزيه مع عشيقاتهم بحيث أصبحت هذه العشيقة هي سيدة فرنسا الأولى.

و الأدهى من ذلك أن الهيرالد تربيون الأمريكية نشرت في عدد 29 / 6 / 79 ملخصًا لبحث قام به مجموعة من الإخصائيين الأمريكيين حول ظاهرة غريبة بدأت في الانتشار في المجتمعات الغربية بصورة عامة وفي المجتمع الأمريكي بصفة خاصة، وهي زنا المحارم، كالبنت والأخت وأحيانًا الأم!!، وأظهر البحث أن 10 ٪ من العائلات الأمريكية يمارس فيها هذا الشذوذ، مع أن الفتيات متوفرات ولكنه العري وغيبة المرجعية والرغبة في تجربة ما هو جديد في العلاقات الجنسية، لأن الناس هناك تشبعت بالزنا وتريد شيئًا جديدًا.

والاختلاط والزنا هما وسيلة الاستعمار والصهاينة لإضعاف الأمة، فقد قال أقطاب المستعمرين قديمًا: «كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع»، وجاء في بروتوكولات حكماء صهيون: «يجب أن تنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.. إن (فرويد) منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غريزته الجنسية وعندئذٍ ينهار أخلاقيًا».

وما حدث في دبي من انتشار الفاحشة في العشرين سنة الأخيرة تطور مذهل في كيفية تغلل هذا المخطط في بلاد المسلمين، فبعض الشيوخ كان يحضر - بعد انهيار الإتحاد السوفيتي - طائرة مليئة ببائعات الهواء الروسيات، ويفرض على كل منهن مبلغًا تدفعه ليدخلها البلد كي تعمل بالدعارة جهارًا نهارًا، وانتشرت بيوت بائعات الهوى لدرجة أن الأمهات جأرن بالشكوى أن أولادهن في الثانوي يركبون في التاكسي، ويطلبون منه أن يأخذهم إلى بيت من هذه البيوت ويقضون وترهم في هذه البيوت التي تتمتع بحماية البوليس، وأصبح بائعات الهوى يطرقن الباب على الرجال - الذين لا يصحبون زوجاتهم في الفنادق- ويعرضون خدماتهن بعلم إدارة الفندق.

ب- مسئولية التوعية الفكرية:

و المقصود بهذه التوعية أن يفهم الأولاد ضرورة الارتباط بالإسلام دينًا ودولة وبالقرآن نظامًا وتشريعًا وبالتاريخ الإسلامى عزًّا ومجدًا، وبالثقافة الإسلامية روحًا وفكرًا وبالحركة الإسلامية دعمًا وحماسًا، لذا وجب على الوالدين تعريف أولادهم منذ أن يعوا ويميزوا خلود هذا الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، ويعرفوهم ما وصل إليه آباؤهم وأجدادهم من عزة وقوة وحضارة؛ لأنهم تمسكوا بالإسلام وطبقوه، ويعرفوهم بالمخططات الصهيونية الماكرة والاستعمارية الحاقدة لمحو العقيدة الإسلامية من كثير من الدول، ومحوها على الأقل من صدور المسلمين حتى لا يبقى من الإسلام إلا رسمه في صورة شعائر لا تمنع منكرًا ولا تدفع إلى معروف، ويعرفوهم جوانب عظمة الحضارة الإسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من معينها حينًا من الدهر، وأن أمتهم لم تدخل التاريخ إلا بالإسلام، وأن المستقبل لهذا الدين. وسبيل هذه التوعية: التلقين الواعي والقدوة السامية والمطالعة الواعية والرفقة الصالحة.

فالتلقين الواعي: بأن يلقن الولد من صغره حقيقة الإسلام وأنه لا عز لنا إلا بالإسلام، ولا نصر إلا بالعودة لتعاليم الدين، ويبصر حسن فهمه بالمخططات اليهودية والصليبية التي تستهدف القضاء على الإسلام وإضعاف المسلمين، ويلقن عظمة حضارة الإسلام الزاهية التي دامت مئات السنين تشع على الإنسانية نور الحق والمدنية.

والقدوة السامية: مقصود بها أن يرتبط عقل الولد بعالم أو مصلح فاهم للإسلام مجاهد في سبيله، يتخذه قدوة بدلًا من الاقتداء بالممثلين والفنانين ولاعبي الكرة الذين هم الآن ملء

السمع والبصر، فعلى الآباء ربط أولادهم بعالم فاهم لدينه مجاهد في سبيله، لا يخاف في الله لومة لائم.

والمطالعة الواعية: بأن يضع الأبوان بين يدى أولادهما -منذ أن يعقلوا- مكتبة ولو صغيرة تشمل مجموعة من القصص الإسلامية، والكتب التي تتحدث عن سيرة الصالحين من العلماء وقادة الأمة العظام، ويدلوهم على مواقع على النت -لمن لا يرغبون في القراءة- بها حكايات عن التاريخ الإسلامي وعظمة الفتوحات الإسلامية.

ولا بأس من توجيه الولد-كلما نما عقله- إلى مجموعة من الكتب الفكرية المبسطة أو مقالات العلماء المجددين المجاهدين، وأن يدلوهم على المجلات الإسلامية الواعية التي تعرض قضايا الإسلام حول العالم، ويختار الأبوان من الكتب والمجلات والمواقع على الشبكة ما يتناسب مع سن الولد / البنت حتى تكون الفائدة أنفع والثمرة أجدى.

والرفقة الصالحة: بأن يختار الأبوان لرفقة أولادهم من لديهم الوعي الفكري الثاقب، كما قال أحد الصالحين: «صاحب من يدلك على الله حاله ويزيد في علمك منطقه»، وليت الصاحب يجمع مع الصلاح والتقوى فضيلة النضج العقلي، وقد قالوا قديمًا: الصاحب ساحب، فليته يسحب ولدك إلى الخير، وقال أهل المعرفة: «لا تقل لي من أنت، بل قل لي من تصاحب»، فأنت تعرف عن المرء الكثير بمعرفة من يصاحب، قالوا: عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي، وما أصدق قوله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»، وتأمل كلمة على دين هذه، أي ليس فقط على فكره، وإنما الخليل يؤثر كثيرًا في دين خليله، فليت الأبوين يهيئان لأولادهما الرفقة الصالحة الواعية منذ أن يصلوا لسن التمييز.

ولا بد أن يدرك الأبوان أن المناهج الدراسية خلت -أو كادت تخلو- مما هو مفيد إسلاميًّا، سواء مناهج التاريخ أو الأدب، وحتى حصص الدين أصبحت حملًا ثقيلًا للتلاميذ ولاحياة فيها، فلا بد من جهد في البيت وبالقدوة والصحبة حتى يستكملا جوانب التربية الفكرية لأولادهما، وليتهما يميلان بالأولاد أن يكونوا كالجيل الذي وصفه الإمام القرضاوي فقال:

خلّفت جيلًا من الأصحاب سيرتهم تضوع بين الورى روحًا وريحانا
كانت فتوحهمو برًّا ومرحمة كانت سياستهم عدلًا وإحسانا
لم يعرفوا الدين أورادًا ومسبحة بل أشبعوا الدين محرابًا وميدانا

ج- مسئولية الصحة العقلية:

ولا بد للوالدين من العناية بعقول أولادهم بحيث يكون تفكيرهم سليمًا وذاكرتهم قوية وعقولهم ناضجة، وتتركز هذه المسئولية في تجنيبهم المفاسد الفكرية المنتشرة في المجتمع، من قصص إباحية وأفلام جنسية وأفكار إلحادية، وليتهم يعتنون ببناء شخصية الأولاد، وهو أحدث ما أنتجه علماء التربية، ويدربونهم على التفكير الجيد، كما في مدارس مارا بماليزيا، وبناء شخصية الطفل أصبح يميز مدارس النور التركية المنتشرة في كل أنحاء العالم، ويمكن للأبوين الاستفادة من منهج بناء شخصية الطفل في منازلهم، وإن كان تأثير المدرسة أقوى، كما أن مدارس مارا بماليزيا، ومدارس معينة بدول أخرى -ست عشر دولة- تدرّس برنامج كورت للتفكير الجيد لطلبة الصف الثالث الإعدادي والأول الثانوي، وفيه أدوات التفكير وأساليبه وكل ما يشكل عقلًا يفكر تفكيرًا جيدًا، وطبعًا لو كانت هناك مدارس تقوم بهذا لكفت الآباء هذه المئونة.

5-2 **مسئولية التربية النفسية**:

والمقصود منها تربية الطفل على الجرأة والصراحة والانضباط عند الغضب والسعي للكمال وحب الخير والتحلي بكل الفضائل النفسية، والهدف من هذا الجانب في التربية هو تكوين شخصية الابن / البيت تكوينًا متكاملًا، بحيث يكون متزنًا نفسيًّا متحليًا بكل الفضائل حتى يستطيع -عندما يبلغ سن التكليف- أن يقوم بالواجبات المكلف بها على خير وجه، وأن يقاوم عوامل الإفساد والضعف بأن يكون محصنًا ضدها بالفهم والتقوى، وألا يتأثر بالسلبيات المنتشرة في الإعلام وفي المدرسة وفي المجتمع، فالإسلام يحث والديه أن يغرسوا فيه منذ أن يفتح عينيه أصول الصحة النفسية التي تؤهله لأن يكون إنسانًا ذا عقل ناضج وتفكير سليم وتصرف متزن ونفسية متماسكة لا تؤثر فيها الفتن، وعليهما أن يحررا الولد -ما أمكن- من العوامل التي تؤثر فيه نفسيًّا، وتجعله غير سوي ينظر إلى الحياة بخوف

أو كراهية أو تشاؤم، ومن أهم العوامل التي يجب على الأبوين تحرير أولادهما منها: ظاهرة الخجل المَرَضي – ظاهرة الخوف – ظاهرة الشعور بالنقص – ظاهرة الحسد.

ظاهرة الخجل المَرَضي:

ظاهرة الخجل من طبيعة الأطفال، وتصبح واضحة في الطفل بعد أن يتم سنة عندما يتحدث إلى غرباء، وفي السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب إلى دار غريبة، فيقعد في حجر أمه أو بجانبها لا ينبس ببنت شفة.

وتلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند بعض الأطفال، ولا ينكر ما للبيئة من أثر في ازدياد الخجل، فإن الأطفال الذين يخالطون غيرهم من صغرهم ويجتمعون معهم أقل خجلًا من الأطفال الذين لايخالطون، وعن أقرانهم معزولون، ومعالجة هذة الظاهرة بأن يعوّد الأولاد على الاجتماع بالناس، وأن يعطوا الثقة بأنفسهم عند الاختلاط بمن هم أكبر سنًّا منهم، ويتعودوا أن يتكلموا بالحق ولا يخشون في الله لومة لائم، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب مع ابنه عبد الله، وكان دون الحلم؛ إذ كان في مجلس فيه رسول الله ﷺ، وسأل الرسول الناس قائلًا: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم فحدثوني ما هي؟ فلم يعرف الناس، ورأى عبد الله بن عمر أبا بكر وعمر لا يتكلمان، يقول: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت أن أتكلم لأني كنت أصغر القوم، ثم قالوا، حدثنا ما هي يارسول الله؟ قال: النخلة، فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إليَّ من أن يكون لي حمر النعم. فانظر إلى درجة التشجيع التي بعثها عمر في نفس ابنه.

كما كان عمر بن الخطاب يدخل ابن عباس أيام خلافته مع أشياخ بدر في المشورة، فكأن بعضهم وجد في نفسه (أي غضب) فقال لعمر: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث قد علمتهم، فدعاني مرة فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم سبب اختياري؛ لأنه سألهم: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ**....﴾ إلى باقي السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي عمر: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله به، قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره لأنك ملاقيه، إنه كان توابًا، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

ومر عمر بن الخطاب مرة في طريق من طرق المدينة وأطفال فيه يلعبون وفيهم عبد الله ابن الزبير وهو طفل يلعب، فهرب الأطفال هيبة من عمر، ووقف ابن الزبير: لم يهرب، فلما وصل إليه عمر سأله: لِمَ لَمْ تهرب مع الصبيان؟ فقال على الفور: لم أفعل ذنبًا حتى أخاف وأهرب، وليس الطريق ضيقًا فأوسعه لك، فتبسم عمر وربت على كتفه.

و دخل على عمر بن عبد العزيز في أول خلافته وفود المهنئين، فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلام صغير لم يبلغ سنة إحدى عشرة سنة، فقال له عمر: ارجع أنت وليتقدم من هو أسن منك، فقال الغلام: أيد الله أمير المؤمنين، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لسانًا لافظًا وقلبًا حافظًا فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا!! فأعجب عمر بكلامه وأنشد:

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير قوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

ومما تناقلته كتب الأدب أن صبيًّا تكلم بين يدى الخليفة المأمون فأحسن الجواب، فسأله المأمون: ابن من أنت؟ فقال الصبي: ابن الأدب يا أمير المؤمنين، فقال المأمون: نعم النسب، وأنشد قائلًا:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول: ها أنذا ... ليس الفتى من يقول: كان أبي

ودخل المأمون مرة بيت الديوان فرأى غلامًا صغيرًا على أذنه قلم، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الناشئ في دولتك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل لخدمتك، أنا الحسن بن رجاء، فأعجب المأمون بحسن إجابته وقال: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ارفعوا هذا الغلا م فوق مرتبته.

ويؤخذ من هذه الأمثلة كيف أن السلف كانوا يربون أبناءهم على التحرر التام من ظاهرة الخجل وعلى الأدب والفصاحة، وعدم هيبة الكبراء والعظماء ولكن مع توقيرهم، وذلك بأن يعودوهم على مجالسة الكبراء والعلماء، ويأخذوا رأيهم وهم في حضرة من هم مثل أبى بكر وعمر، ويستشيروهم في القضايا العامة والمسائل، ويحضرون مجمعات المفكرين

والعلماء، وعلى الآباء التأسى بذلك فيعودوا أولادهم الصراحة التامة والجرأة الكاملة والشجاعة في الحق، ضمن حدود الأدب والاحترام، وإلا فإن الصراحة تنقلب وقاحة. وعلى الأبوين أن يفرقا بين الخجل والحياء، فالخجل هو انكماش الولد وانطواؤه عن ملاقاة الآخرين، أما الحياء فهو التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الإسلام، فليس من الخجل في شيء عندما يعود الأبوان أولادهما منذ نشأتهم على الاستحياء من الله عند اقتراف المنكرات وارتكاب المعاصي، وليس من الخجل في شيء أن يعوداهم على توقير الكبير وغض البصر، وكف الأذن أن تستمع سرًّا، وتنزيه اللسان من الغوض في باطل، وهذا هو الحياء الذي أمر به رسول الله ﷺ فقد قال: «**استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا نستحيي من الله يا رسول الله والحمد لله، قال: ليس ذلك، الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء**» (رواه الترمذي).

ظاهرة الخوف:

وهي حالة نفسية تعتري الصغار والكبار في ظروف معينة، وقد تكون ظاهرة مستحبة إن كانت ضمن الحدود الطبيعية لدى الأطفال، لأنها تكون وسيلة لحمايتهم من الأخطار والحوادث، ولكن إذا زاد الخوف عن حده المعتاد، وتجاوز المعدل الطبيعي فإنه يسبب للطفل قلقا نفسيًّا، ويصبح مشكلة نفسية يجب معالجتها، يقول المختصون بعلم الأطفال: «إن الطفل في السنة الأولى قد يبدي علامات الخوف عند حدوث ضجة مفاجئة أو سقوط شيء فجأة، ويخاف الطفل من الغرباء اعتبارًا من الشهر السادس، أما في سنته الثالثة فيخاف من الحيوانات والسيارات والمرتفعات وما أشبه، والإناث - بوجه عام - أكثر إظهارًا للخوف من الذكور، كما تختلف شدته تبعًا لشدة تخيل الطفل، فكلما كان أكثر تخيلًا كان أكثر تخوفًا وازدياد الخوف لدى الأطفال له أسباب، نذكر منها:

- تخويف الأم وليدها بالأشباح أو الظلام أو الغول أو أبو رجل مسلوخة.
- تدليل الأم المفرط أو قلقها الزائد وتخوفها الشديد.
- تربية الولد على العزلة والانطوائية والخوف من الخروج من المنزل.

- سرد القصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت، وخصوصًا لو كانت الأم تعتقد فيها.

ولعلاج ظاهرة الخوف يمكن أن تراعي الأم ما يلي:

1- تنشئة الطفل منذ نعومة أظافره على الإيمان بالله والتسليم له بحيث لايخاف إذا ابتلى ولايصيح إذا أصيب، ولا يجزع إذا مسه الشر.

2- إعطاؤه حرية التصرف وجعله يتحمل المسئولية ويمارس أمور الكبار على قدر نموه ومراحل تطور عقله.

3- عدم إخافة الولد -ولاسيما عند البكاء- بالغول أو العفريت أو الجن.

4- إتاحة الفرصة للطفل للخلطة مع الآخرين، والالتقاء بهم والتعرف عليهم، ليشعر الطفل أنه محل عطف ومحبة واحترام كل من يجتمع بهم فيأنس بالآخرين، وأن تقص عليه أمه بطولات الشباب الإسلامي الصغير في المعارك والغزوات، وفي غزة حيث يتصدى الأطفال للدبابات بالحجارة.

وما ينصح به علماء نفس الأطفال: لابأس أن تداعبه أمه بإطفاء النور ثم إشعاله، وأن يلعب معه أبوه لعبة الاستغماية ويكون في البيت أماكن مظلمة، مع الضحك من أي بالغ يخاف من الظلام، وإن كان يخاف الماء فلا بأس أن تسمح له باللعب بقليل من الماء في طشت، ثم تضعه في البانيو مع كمية ماء أكثر، وإن كان يخاف من المكنسة الكهربائية مثلًا فلا بأس من أن تعطيه أجزاءها ليلعب بها، وإن كان يخاف من الكلاب فلا بأس أن يلاعب كلبًا أليفًا معروفًا عنه الوداعة، ولتقص عليه القصص الخاصة بشجاعته فتيان المسلمين وهي كثيرة ومنها: قصة عمير أخي سيدنا سعد بن أبى وقاص الذي يقول عنه: رأيت عميرًا بن أبي وقاص (في غزوة بدر) قبل أن يستعرضنا رسول الله ﷺ يتوارى منه، فقلت له: ما لك يا أخي؟ قال إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فرده لصغره، فبكى فأجازه رسول الله ﷺ.

يقول سعد: فكنت أعقد حمائل سيفه على ظهره لصغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة ﷺ، وهذا يدل على أن أبناء الصحابة كانوا على شجاعة فائقة وبطولة نادرة، بل كانت

الأمهات يدفعن بأولادهن إلى ساحات الجهاد ويوم يسمعن خبر الموت ونبأ الاستشهاد تقول إحداهن قولتها الخالدة: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من الله أن يجمعني وإياهم يوم القيامة في مستقر رحمته، وتقدم الأمهات الفلسطينيات أروع الأمثلة في هذا الصدد، ولايمكن أن ننسى الشهيد محمد الدرة الفلسطيني الذي أردته يد الغدر أمام أبيه، ولا منظر الفتيان الفلسطينيين الذين يواجهون الدبابة الإسرائيلية بالحجارة ولا يهابونها .. هؤلاء هم أبناؤنا البواسل وإخواننا الأبطال.

ويوم يربي الأبوان أولادهما على حب الفروسية والنصال (رمي السهام) والجهاد، ويوم يأخذ الأبوان بقواعد التربية الصحيحة في تحرير الأولاد من الخوف والجبن والخجل المرضي، ولو أخذوا بمنهج الأمهات الفلسطينيات لأنشآ جيلًا يفتح الله على يديه بيت المقدس ويحرر فلسطين، ويتحول الجيل الجديد من القلق إلى الثقة ومن الخوف إلى الشجاعة.

ظاهرة الشعور بالنقص:

الشعور بالنقص حالة نفسية قد تعتري الأولاد لأسباب خلقية ومرضية أو عوامل تربوية أو ظروف اقتصادية، وهي من أخطر الظواهر النفسية المسببة للعُقد والانحراف، والعوامل التي تسببها متعددة، منها:

أ- التحقير والإهانة.

ب- المفاضلة بين الأولاد.

ج- العاهات الجسدية.

د- اليتم والفقر.

هـ- الحسد.

أ- التحقير والإهانة: هو من أقبح العوامل في انحرافات الولد النفسية وترسيخ الشعور بالنقص لدى الأطفال، فقد يشهّر الأب أو الأم بابنهما بأن يناديه دائمًا بالكذاب لأنهما اكتشفاه يكذب، أو بالمحتال لأنه احتال على أخته وأخذ منها تفاحة، أو بالحرامي إذا أحضر من مدرسته أدوات ليست له، وهكذا يشهّران به أمام إخوته وأهله من الزلة الأولى، أو قد ينشأ الولد في بيئة يكون الأب فيها معتادًا على مناداة الولد بكلمات نابية وعبارات قبيحة أمام أصدقائه أو أمام الغرباء، مما يجعل الولد ينظر إلى نفسه أنه حقير مهين، وجو هذه التربية

الفاسدة والمعاملة القاسية لها أسوأ الأثر على الأولاد، فكيف نرجو من الأولاد طاعة وبرًّا واتزانًا واستقامة، ونحن قد غرسنا في نفوسهم وهم صغار هذه العقد.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنّبه على عقوقه لأبيه ونسيانه حقوقه عليه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال عمر: بلى، أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب (القرآن)، فقال الولد: إن أبي لم يفعل شيئًا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جُعلا (خنفساء)، ولم يعلّمني من الكتاب حرفًا واحدًا، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إليّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

وقد تصدر الكلمات النابية من الأب للولد عفوًا أو لغاية تأديبية إصلاحية لذنب كبير وقع فيه، ولكن المعالجة لارتكاب هذا الذنب لا تصلح بهذه الطريقة التي تترك آثارًا خطيرة في نفسية الولد وسلوكه، وتجعل منه إنسانًا يتطبع على لغة السب والشتائم، فما هي معالجة الإسلام للولد إذا وقع منه خطأ؟ المعالجة الصحيحة أن ننبهه على خطئه -المرة الأولى- برفق ولين، ونقنعه بالحجج الدامغة، فإن فهم واقتنع وامتنع وصلنا إلى ما نريد في تقويمه، وإلا فالمعالجة ستكون بأسلوب آخر كما سيأتي في الجزء الخاص بالتربية بالعقوبة، وهذه الطريقة الراقية اللينة في التأديب هي طريقة رسولنا الكريم ﷺ كما يظهر من هذه الأمثلة:

- روى الإمام أحمد أن غلامًا شابًّا أتى النبي ﷺ وقال له: يانبي الله أتأذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: قربوه.. أدن، حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ: أتحبه لأمك؟ قال: لا، جعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لأختك؟ قال: لا، جعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، ثم ذكر العمة والخالة، وهو يقول في كل واحدة: لا، جعلني الله فداك، ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: اللّهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه، فقام من بين يدي رسول الله ﷺ وليس شيء أبغض إليه من الزنا.

- وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه فقال النبي ﷺ: «**دعوه، وأريقوا على بوله سجلًا (دلوًا) من الماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»، وروى الشيخان. وعن **عائشة** ﷺ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله**

رفيق يحب الرفق في الأمر كله»، وعنها أن النبي ﷺ قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»: ونخلص مما تقدم أن تحقير الولد وتعنيفه بشكل مستمر – ولاسيما أمام الآخرين– هو من أهم عوامل ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص التي تؤدي إلى انحرافات الولد النفسية والسلوكية، وخير علاج هو تنبيه الولد إذا أخطأ برفق ولين مع بيان الحجج المقنعة .. وإذا أراد أحد الأبوين توبيخه فلا يكون ذلك أمام الحاضرين، ولا بد أن يسلكا أولًا الأسلوب الرفيق في الإصلاح والتقويم لأنه أسلوب رسولنا الكريم.

ب- المفاضلة بين الأولاد: وهي من أهم أسباب انحراف الولد النفسي، سواء كانت المفاضلة في العطاء أو في المعاملة والمحبة؛ لأنها تولد الحسد والكراهية وحب الاعتداء والمشاجرة، وتؤدي إلى المخاوف ومركبات الشعور بالنقص، وكم كان المربي الأول ﷺ حكيمًا حين أمر الآباء أن يتقوا الله ويعدلوا بين أولادهم.

روى الطبراني عنه: «ساووا بين أولادكم في العطية»، وروى الشيخان عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به النبي ﷺ، فقال: «إني نحلت (أعطيت) ابني هذا (غلامًا كان لي)، فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» فرجع أبي فرد تلك الصدقة، وروى أنس أن رجلًا كان عند النبي ﷺ فجاءه ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه ثم جاءت ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «ألا سوّيت بينهما؟» (رواه البزار).

فلا بد من تحقيق العدل والمساواة في العطية والمحبة، وقد تكون المحبة لأحد الأبناء بسبب أنها أنثى أو أن يكون قليل الحظ من الذكاء أو عنده عاهة خلقية، ولكن كل هذه لا تعد مبررات –في نظر الشرع – لتفضيله على إخوته، وكم يكون الأبوان جائرين حينما ينهجان مع أولادهما هذا النهج السيء، فإذا كانا حريصين على سلامة أبنائهما من العقد النفسية، ومركبات الشعور بالنقص وآفات القلوب من حقد وحسد، فليس أمامهما من سبيل إلا أن ينفذوا أمر الرسول ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم»، وأن يرضوا بما قسمه الله لهم من بنات وبنين، ولا يفضّلوا البنين على البنات، ولا يفضّلوا الذين منحهم الله مواهب خاصة سواء في الذكاء أو مواهب فنية. ولنا في قصة سيدنا يوسف وإخوته آيات؛ إذ قال إخوة يوسف: «ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة»، ووصل بهم الحسد إلى التآمر على

قتل أخيهم أو طرحه أرضًا، وهو ما فعلوه فعلًا عندما ألقوه في غيابات الجب، كل ذلك بسبب اعتقادهم التفضيل في المعاملة.

ج- العاهات الجسدية: وهذه إذا لم تعامل بحكمة تصبح من العوامل الكبيرة في شعور الولد بالنقص أو النظرة الحاقدة للحياة، فالولد حين يصاب -منذ الصغر- بعاهة جسدية كالعور أو الصمم أو التهتهة ونقص النطق فينبغي أن يلقى ممن حوله من أبوين وإخوة كل رعاية وعطف ومحبة وتعاطف، أما أن يخاطب بعاهة العور: يا أعور، أو بعاهة الصمم: يا أطرش فمن البديهي أن تتولد لدى الولد -عندما يميز- مركبات الشعور بالنقص والحقد والنظرة المتشائمة للحياة.

ويجب على الأبوين معالجة مشكلة عاهات أي ولد من أولادهما بالحكمة والمعاملة الرحيمة، و**أُولى خطوات** هذه المعالجة أن ينظرا إليه نظرة حب ورحمة وأن يخصاه بالعناية والرعاية بإشعارهم أنهم متميزون عن غيرهم -بالرغم من عاهتهم- بالذكاء والدأب، فهذه النظرة إليهم وإشعارهم بتميزهم يزيل من نفوسهم آفة الشعور بالنقص، وبإمكانهم أن يقصوا عليهم قصة الأعمى الذي أصبح عميد الأدب العربي، والأصم الذي ألف أشهر سيمفونيات في العالم.

وثاني خطوات المعالجة أن يقوما بواجب النصح والتحذير لكل من حول المصاب بعاهة من الخلطاء سواء كانوا أقارب أم لا من مغبة التحقير أو الإهانة باستعمال كلمات معينة، وما تتركه من أثر سيئ في نفوس المعاقين وما تحدثه من مضاعفات عندهم، وأن يبينوا لكل من يجتمع مع ذي عاهة منهج المربي الأول ﷺ في الدعوة إلى التعاطف والتراحم مع الضعيف، وتوصيته بالحذر في الكلام والإشارة، ومنها توجيهه لعائشة ﵂ فيما رواه أبو داود والترمذي، قالت **عائشة**: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا (تشير بيدها أنها قصيرة) فقال ﷺ: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**» (أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه لشدة نتنها وقبحها) ومن تحذيراته بالتحقير بالشماتة قوله: «**لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك**» (رواه الترمذي).

وثالث خطوات هذه المعالجة أن يهيئ الأبوان لأولادهم المصابين رفقة من الأصحاب حسنة، أو بهم عاهات، حيث يجتمعون معهم ويلعبون، ليشعروا في أعماق وجدانهم محبة

الناس لهم، واهتمامهم بهم وعطفهم عليهم، وأن هناك غيرهم مصابين مثلهم وصابرين، ويقول ﷺ: «**عرامة الصبي في صغره زيادة عقله في كبره**» [رواه الترمذي]، عرامة الصبي: أي انطلاقه وحيويته وقوة الاجتماع مع غيره، و**يستحسن استخدام تعبير ذوي الاحتياجات الخاصة بدلًا من أصحاب العاهات** أو مثلها.

د - اليتم والفقر:

اليتم قد يصبح عاملًا خطيرًا في انحراف الولد النفسي إذا وجد اليتيم في بيئة لا ترعاه ولا تنظر إليه بعين العطف. والإسلام اهتم بشأن اليتيم اهتمامًا بالغًا من ناحية تربيته وتعليمه حتى ينشأ عضوًا نافعًا في المجتمع، ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾ [الضحى: 9]، وقال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**». **وأشار** بإصبعيه -يعني السبابة والوسطى- [رواه الترمذي]، وروى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «**من وضع يده على رأس يتيم رحمة كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة**»، وفي حالة عدم وجود الأوصياء من الأقارب والأرحام فعلى الدولة المسلمة أن ترعاهم وتتولى أمرهم، فكان رسول الله ﷺ - كممثل للدولة الإسلامية في المدينة- يخص اليتيم بمزيد من العطف والرحمة، فعن بشير بن عقربة قال: لما قتل أبي عقربة يوم أحد أتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقال: "يا حبيب! ما يبكيك؟ أما ترضى أن أكون أنا أباك وعائشة أمك؟ قلت: بلى يا رسول الله بأبي أنت وأمي! فمسح على رأسي فكان أثر يده من رأسي أسود وسائره أبيض، وكانت لي رتة فتفل فيها فانحلت، وقال لي: ما اسمك؟ قلت: بحير، قال: بل أنت بشير".

أما عامل الفقر فهو عامل كبير في انحراف الولد النفسي عندما يفتح عينيه ويرى أباه في ضائقة وأسرته في بؤس وحرمان، ويزداد الأمر سوءًا حين يرى بعض أقاربه وأبناء جيرانه أو رفاقه في المدرسة وهم أحسن حالًا وأبهى زينةً وأكمل نعمةً، وقد يعيرونه بفقره أو يتباهون عليه بما لديهم من مال وفاكهة، ففي هذه الحالة ماذا يُنتظر منه نفسيًّا؟ سينظر إلى المجتمع نظرة حقد وكراهية، وسيحل اليأس محل أمله والتشاؤم محل تفاؤله، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**»، وكان ﷺ يستعيذ من الفقر في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**» (رواه النسائي).

والإسلام عالج مشكلة الفقر بأمرين أساسيين:

أولهما: احترام الكرامة الإنسانية، والثاني: سن مبادئ التكافل الاجتماعي.

فقد جعل الإسلام المفاضلة بالتقوى وليس بالمال ورفع من قدر الضعفاء والفقراء، وسن من مبادئ التكافل الاجتماعي في حل مشكلة الفقر ما يعتبر من أرقى وأسمى ما وصل إليه الجهد البشري: من بيت مال تتولاه الدولة، وعدم اعتبار المسلم مسلمًا إذا بات شبعانًا وجاره جائع، وجعل إطعام الجائع والمحروم في وقت الشدة من أهم الواجبات، وأوجب على الحاكم أن يهيّئ سبيل العمل لكل من كان قادرًا عليه، وسن قانون التعويض العائلي لكل مولود يولد في الإسلام، أي يفرض لكل مولود عطاء إلى عطاء أبيه.

ولا شك أن دور الأبوين في هذين الحالين أقل من دور المجتمع والدولة، ولكن في حالة اليتيم لا بد أن تعمل الأم على رعاية أبنائها نفسيًّا لمعالجة أي أمراض نفسية تظهر لديهم، وفي حالة الفقر لا بد أن يحاول الأب أكثر في زيادة دخله، ولا بأس أن تساعده الأم بالعمل من المنزل، ولا يقعدنّ أحد عن السعي لأن الله تعالى يقول: ﴿**نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم**﴾، ولكن على الأب السعي، وعدم إهدار المال في التدخين أو المخدرات أو أي من هذه الرذائل.

هـ- ظاهرة الحسد:

الحسد هو: تمني زوال النعمة، وهو ظاهرة اجتماعية خطيرة، إن لم يعالجها المربون في أطفالهم فستؤدي إلى نتائج وخيمة، وقد لا تكون ظاهرة الحسد واضحة لأول وهلة بالنسبة للأهل، فلا يتوقعون من أولادهم الحسد، ويتصورون أنهم لا يشعرون به ولن يقعوا فيه؛ ولذا يجب التنبيه على الأسباب التي تؤجج نار الغيرة والحسد في نفوس الأطفال:

- خوف الطفل أن يفقد بين أهله بعض امتيازاته كالمحبة والعطف ولاسيما عند مقدم مولود جديد.
- المفاضلة بين الأولاد في المعاملة، والاهتمام بأحدهم دون الآخرين.
- الإغضاء والتسامح عن ولد محبوب يسيء والتربص بالعقاب لآخر تصدر منه أدنى إساءة.
- وجود الولد في بيئة غنية مترفة وهو في فقر شديد.

والإسلام قد عالج ظاهرة الحسد بمبادئ تربوية حكيمة لو أخذ الأبوان بأسبابها لنشأ الأولاد على التواد والإيثار والمحبة والصفاء، ومنها:

1- **إشعار الطفل بالمحبة الدائمة**:

روى الترمذي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه قال: رأيت النبي ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل النبي ﷺ فحملهما، ووضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله العظيم» ﴿**أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ ... نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» ويجب على الأم الأخذ بالاحتياطات اللازمة للحيلولة دون اشتداد الحسد عند قدوم طفل جديد، فتبدأ قبل الولادة بعدة أشهر بتهيئة الطفل الأكبر لمقدم طفل جديد، بالحديث عنه أنه سيكون أخًا له يلاعبه، والسماح للطفل الأكبر بالمساعدة في شئون الطفل الجديد عند إلباسه وتغسيله وإطعامه، ولا بأس بالسماح له بأن يلاعب الصغير ويداعبه تحت إشراف الأم مخافة إيذائه، وعندما تحمل الأم الصغير لإرضاعه يستحسن من الأب أن يداعب الأكبر ويحادثه ويلاطفه ليشعره بالمحبة والاهتمام وعدم الإهمال.

2- **تحقيق العدل بين الأولاد**: وقد ذكرنا عدة أحاديث في هذا الموضوع في معالجة ظاهرة الشعور بالنقص.

3- **إزالة الأسباب التي تؤدي إلى الحسد**: فإذا كان مجيء الوليد الجديد يُشعِر الطفل الأكبر بفقدان محبة أمه فعلى الأبوين أن يتعاونا ويسعيا جهدها في إشعاره أن هذه المحبة باقية على مدى الأيام، وإن كان تعنيفه وإن كان رميه بالألفاظ القاسية يؤجج في صدره نيران الحقد والحسد على إخوته الأذكى أو الأحسن أخلاقًا، فعلى الأبوين أن ينزها ألسنتهما عن التقريع المؤلم والكلمات الجارحة، وعليهما أن يبتعدا عن تفضيل أحد أولادهما عن الآخرين، ويكونا دائمًا على حذر من تفشي ظاهرة الحسد في نفس أي من أولادهما، لما للحسد من آفات نفسية وآثار اجتماعية، وقد حذر الرسول ﷺ منه ونهى عنه عندما قال: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» (رواه ابن داود)، «الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر الخل» الصبر: كالعقلم.

وحين يحرر الأبوان أبناءهما من ظاهرة الخجل ومن ظاهرة الخوف ومن ظاهرة الشعور بالنقص ومن ظاهرة الحسد، يكونان قد غرسا في أنفس أولادهما الأصول النفسية النبيلة التي

تحقق جيلًا ذا نفوس عالية، ويكونان قد أعدا أولادًا ليكونوا شباب الغد ورجال المستقبل؛ ولذا يحتاج المجتمع المسلم إلى مربين يعرفون طريقة الإسلام في التربية النفسية، ومنهج الرسول ﷺ في الإصلاح النفسي، ليؤدوا واجبهم في تنشئة جيل اكتملت شخصياتهم وصلحت سريرتهم، وتحررت من الآفات النفسية نفوسهم وقلوبهم.

6-2 مسئولية التربية الاجتماعية:

والمقصود بالتربية الاجتماعية تأديب الولد منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية فاضلة تنبع من العقيدة الإسلامية والشعور الإيماني، لينشأ الولد عليها فيظهر منه حسن التعامل والأدب والعقل الناضج والتصرف الحكيم، وهذه المسئولية من أهم المسئوليات في إعداد الولد؛ بل هي حصيلة كل تربية سبق ذكرها، سواء أكانت إيمانية أم خلقية أم نفسية، لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية التي تربي الولد على أداء الحقوق والتزام الآداب والرقابة الاجتماعية وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين.

وسلامة المجتمع وقوة بنيانه وتماسكه وقدرته على الوقوف أمام عوامل الهدم من تغريب وإعلام وثقافة مستوردة مرتبط بسلامة أفراده وحسن إعدادهم وتحصينهم ضد هذه الهجمة التي تعرضنا لها بالتفصيل عند الحديث عن العادة الثالثة، ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعيًّا وسلوكيًا، فما على الآباء والأمهات إلا أن يشمروا عن ساعد الجد والعزيمة ليقوموا بمسئوليتهم الكبرى في التربية الاجتماعية على وجهها الصحيح في ظل تخلي المجتمع والمدرسة عن دورهما الذي كان مؤثرًا في السابق، وفي ظل عدم وجود القدوة الصالحة، ولأن القدوة الآن صارت الفنانين ولاعبى الكرة، لدرجة أن راقصة تم اختيارها من قبل نادي الطيران في مصر سنة 2014 لتكون الأم المثالية!!

والوسائل العملية التي تؤدي إلى تربية اجتماعية فاضلة في نظر د. علوان في كتاب تربية الأولاد في الإسلام أربع هي:

أ - غرس الأصول النفسية النبيلة. ب - مراعاة حقوق الآخرين.

ج - التزام الآداب الاجتماعية العامة. د - المراقبة والنقد الاجتماعي.

أ- غرس الأصول النفسية النبيلة:

وأولها التقوى، وهي نتيجة حتمية للشعور الإيماني العميق المتصل بمراقبة الله وخشيته، وهي كما عرّفها بعض العلماء: **أن يراك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك،** وهي منبع الفضائل الاجتماعية كلها، بل هي الوسيلة الأولى التي توجد في الفرد وعيه الكامل بمجتمعه وبكل من يتعايش معهم، وهذه بعض الأمثلة على أثر التقوى في سلوك الفرد:

- **روى** الغزالي في إحيائه أنه كانت عند يونس بن عبيد حلل قيمة كل منها أربعمائة درهم وحلل قيمة كل منها مائتان، فانصرف إلى الصلاة وخلّف ابن أخيه في الدكان، فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة **درهم فأراه حلة من حلل المائتين فاستحسنها واشتراها** بأربعمائة درهم، ومشى فاستقبله يونس فسأله: بكم اشتريت؟ قال: بأربعمائة، فقال: لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها، فقال: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها، فقال له يونس: انصرف معي فإن النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم، وخاصم ابن أخيه في ذلك، وقال له: أما استحييت؟ أما اتقيت الله؟ تربح ضعف الثمن وتترك النصح للمسلمين؟ فقال: والله ما أخذها إلا وهو راضٍ بها، فقال له يونس: فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك.

وثانيها الأخوة: والشعور الأخوي الصادق يولّد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة من تعاون وإيثار ورحمة وعفو عند المقدرة، وابتعاد عن كل ما يضر الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات:10]، وكان من نتيجة هذه الأخوة أن تعامل أفراد المجتمع الإسلامي عبر التاريخ على أحسن ما تعامل به الناس، وقال ابن عمر: «لقد أتى علينا زمان وما من أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم».

وثالثها الرحمة: وهي رقة في القلب وحساسية في الضمير تستهدف الرأفة بالآخرين والعطف عليهم، وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» (رواه الترمذي وأحمد)، ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المسلمين، وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة، وقد روى عن النبي ﷺ أن الجنة فتحت أبوابها لبغيّ سقت كلبًا فغفر الله لها، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرّة حتى ماتت، ويروي المؤرخون أن عمرًا بن العاص حين فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه (خيمته) فاتخذت من أعلاه عشًّا، وحين أراد

عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه الفسطاط، فتركه وتكاثر العمران من حوله، فكانت مدينة **الفسطاط**.

وكان للوقف الإسلامي الخيري أنواع منها: وقف الكلاب الضالة، حيث توضع في أماكن لرعايتها، ووقف الأعراس: حيث يستعير الفقراء من الوقف الحلي والزينة في مناسبات الأعراس والأفراح، ووقف مؤنس المرضى والغرباء، حيث يُعيّن من كان رخيم الصوت حسن الأداء ليتلو الأناشيد والقصائد الشعرية طول الليل، بحيث يرتل كل منهم ساعة حتى مطلع الفجر للتخفيف عن المرضى وإيناس الغرباء، ووقف الزبادي: فكل خادم كُسرت آنيته وتعرض لغضب مخدومه يذهب إلى إدارة الوقف فيترك الإناء المكسور، ويأخذ إناءً جديدًا بدلًا منه، هذا عدا عن وقف إطعام الجائع وسقاية الظمآن ودفن الميت وكفالة اليتيم ... إلخ، وهذه الأوقاف هي مفخرة حضارتنا في التاريخ.

ورابعها الإيثار: وهو تفضيل الإنسان غيره على نفسه في المصالح، وهو خلق نبيل ودعامة من دعائم التكافل الاجتماعي، يقول تعالى عن الأنصار: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: 9]، وروى ابن عمر قال: أُهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: فلان أحوج إليه مني، فبعث به إليه، فبعث هو أيضًا إلى آخر يراه أحوج منه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة. ومن عجائب الإيثار ما ذكره العدوي قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي -ومعي شيء من الماء- وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فقلت: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا برجل يقول: آه..آه، فأشار ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار برأسه نعم، فسمع آخر يتأوه، فأشار إليّ أن انطلق إليه، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. لم يشرب أحد الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه، فعلى هذه المعاني الكريمة من الإيثار والتضحية يجب أن ننشّئ أولادنا.

وخامسها العفو: وهو شعور نفسي نبيل يؤدي إلى التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدي ظالمًا، بشرط أن يكون المعتدى عليه قادرًا على الانتقام، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدين ومقدسات الإسلام، يقول تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ**

﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وحينما يتحلى المسلم بأخلاق الحلم والعفو والتسامح فإنه يكون مثالًا يحتذى في سمو الخلق ولين الجانب وحسن المعشر.

ومما يروى أن زين العابدين بن الحسين استدعى غلامًا له، وناداه مرتين فلم يجبه، فقال له زين العابدين: أما سمعت ندائي؟ قال: بلى، قد سمعت، قال: فما حملك على ترك إجابتي؟ قال: أمنت منك وعرفت طهارة أخلاقك فتكاسلت، فقال: الحمد لله الذي أمّن مني غلامي.

ومما يروى عنه أيضًا: أنه خرج مرة إلى المسجد فنعته رجل بصفات سيئة، فقصده غلمانه ليضربوه، فنهاهم زين العابدين وقال لهم: كفوا أيديكم عنه. ثم قال لذلك الرجل: يا هذا أنا أكثر مما تقول، وما لا تعرفه عني أكثر مما تعرفه، فإن كان لك حاجة في ذكره ذكرته لك. فخجل الرجل واستحيا، فخلع زين العابدين قميصه، وأمر له بألف درهم، فمضى الرجل وهو يقول: أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ، وعندما خاض مسطح - وهو قريب فقير لأبي بكر - في عرض السيدة **عائشة** في حادثة الإفك حلف أبو بكر أن لا يصله، فنزل قوله تعالى: **﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 22]** فعفا عنه أبو بكر وصفح وعاد إلى عطائه الأول قائلًا: بلى إني أحب أن يغفر الله لي.

وهذا الخلق العظيم من العفو والصفح والتسامح هو بفضل ما اقتبسوه من أخلاق الداعية الأول ﷺ، وبفضل ما امتثلوه من توجيهاته الكريمة إذ يقول: «**من كظم غيظًا وهو يستطيع أن يُنفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور العين شاء**» (رواه أبو داود).

وسادسها الجرأة في الحق: وهي قوة نفسية رائعة يستمدّها المؤمن من الحق الذي يعتنقه ومن الخلود الذي يؤمن به ومن القدر الذي يستسلم له ومن المسئولية التي يشعر بها ومن التربية التي ينشّأ عليها، ونرى هذا بارزًا في شخصية أبي بكر الذي كان أرجح المؤمنين إيمانًا بعد رسول الله ﷺ، فقد تمثل إيمانه في موقفه يوم توفي الرسول ﷺ فذهل المسلمون، وأخرجتهم الفجيعة عن وعيهم ورشدهم، حتى روي أن عمر قال: من قال إن محمدًا قد مات ضربت عنقه بسيفي هذا. هنالك وقف أبو بكر يؤذن في الناس ويقول: «**من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت**». وتلا قوله تعالى: **﴿وَمَا**

مُحَمَّدٌ إِلَا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ومَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شيئًا وسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وموقفه يوم تردد كبار الصحابة في إنفاذ جيش أسامة بن زيد الذي جهزه النبي ﷺ إلى الشام قبل مرض موته، فقد طلبوا من أبي بكر أن يؤجل مسير هذا الجيش لأن الغد مليء بالأحداث والاحتمالات إذا العرب عرفوا أن محمدًا قد مات، فأجابهم أبو بكر في حزم وعزم: «والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تتخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله ﷺ، ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ بيده، ولو لم يبقَ في القري غيري لأنفذته».

وموقفه في حرب المرتدين كلهم، حتى قال بعض الصحابة لأبي بكر: يا خليفة رسول الله لا طاقه لنا بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك وأغلق بابك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، ولكن هذا الرجل الخاشع البكّاء الرقيق كالنسيم الرحيم كقلب الأم انقلب إلى رجل ثائر كالبحر زائر كالليث يصيح في وجه عمر: «أجبّار في الجاهليه خوّار في الإسلام؟ لقد تم الوحي واكتمل.. أفينقص الدين وأنا حي؟ والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف بيدي»، فما كان من عمر إلا أن قال: لقد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

من هنا كانت فضيلة الجرأة في الحق من أعظم الجهاد لما روى أبو دواد والترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»، وقال: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» (رواه الحاكم)، ومن هنا كان ﷺ يأخذ العهد على أصحابه أن يقولوا الحق ولا يخافون، روى مسلم عن عبادة بن الصامت أنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة....وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم». ويروى أن العز بن عبد السلام قال مرة لسلطان مصر – نجم الدين أيوب – وكان في مجلس حافل برجال الدولة: يا أيوب.. ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيع الخمور؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم، الحانة الفولانية يباع فيها الخمور وتستباح فيها المنكرات، فقال: هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي. فقال العز بن عبد السلام: أأنت من الذين يقولون: **﴿إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وأنا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾** [الزخرف:23]، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة وإغلاقها.

تلكم هي **أهم الأصول النفسية** التي يسعى الإسلام إلى غرسها في نفس المؤمن؛ ولذا وجب على الآباء وعلى الأمهات بشكل خاص أن يُرسّخوا في نفوس أطفالهم هذه الأصول، حتى إذا شب الأولاد عن الطوق وبلغوا السن التي تؤهلهم أن يخوضوا خضم الحياة أدوا ما عليهم من واجبات، وقاموا بكل ما عليهم من التزامات، والذي يقوم بمسئولية التربية الاجتماعية إذا لم يبنِ تربيته على هذه الأصول الثابتة كان كمن يرقم على ماء أو ينفخ في رمضاء أو يصرخ في وادٍ: دون فائدة.

ب- مراعاة حقوق الآخرين:

وأهم الحقوق الاجتماعية التي يجب أن يرشد الأبوان الولد إليه وينشآنه على رعايتها ستة:

1- حق الأبوين. 2- حق الأرحام. 3- حق الجار.

4-حق المعلم. 5- حق الرفيق. 6- حق الكبير.

1- **حق الأبوين**: يجب تعريف الولد بحق أبويه عليه، وهو برهما وطاعتهما والإحسان إليهما ورعايتهما عند الكبر، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما، والدعاء لهما بعد مماتهما.... إلخ، وقد وضّح الرسول الكريم ﷺ أن رضا الله في رضاهما وأن برهما مقدم على الجهاد في سبيل الله، وأن من البر الدعاء لهما بعد مماتهما وإكرام صديقهما، وتقديم الأم بالبر على الأب، وعلى من يريد الاستنارة وقراءة أحاديث النبي ﷺ في هذا الحق يراجع كتاب «تربية الأولاد» للدكتور علوان.

- وقد لقي أبو هريرة الصبي بن غسان وهو يمشي مع أبيه بظهر الحرة، فقال له من هذا؟ قال: أبي، قال: لاتمشي بين يدي أبيك ولكن امشِ خلفه أو جانبه، ولا تدع أحدًا يحول بينك وبينه، ولا تمشِ فوق أجار (سطح) أبيك، ولا تأكل عرقًا (عظم به لحم) قد نظر أبوك إليه لعله اشتهاه.

- وقد حظر الإسلام أشد التحذير من عقوق الوالدين، ومن العقوق أن يتعاظم الولد عن تقبيل يدي والديه أو لا ينهض لهما احترامًا وإجلالًا، وألا يقوم بحق النفقة على أبويه الفقيرين، ومن أكبر العقوق أن يتأفف الولد من أبويه ويضجر منهما ويعلو صوته عليهما، روى الشيخان أن رسول الله قال ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك بالله وعقوق الوالدين ...»، وقال: «ثلاث حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن

الخمر والعاق لوالديه والدّيوث الذي يقر الخبث في أهله» (رواه أحمد والنسائي)، وروى أحمد عن معاذ بن جبل قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال: «لاتشرك بالله شيئًا وإن قتلت وحُرّقت، ولا تعق والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك».

وفضيلة البر بالوالدين وحقهما على الولد أكبر من أي حق من الحقوق الاجتماعية التي سيأتي التفصيل عنها لأنها أم الفضائل جميعًا.

2- **حق الأرحام**: **وهم** من يرتبط بهم المرء بصلة القرابة والنسب، وهم على الترتيب التالي: الآباء والأمهات، الأجداد والجدات، الإخوة والأخوات، الأعمام والعمات، أولاد الأخ، أولاد الأخت، الأخوال والخالات، ثم من يليهم من الأقرباء، ولا بد أن يبصّر الأبوان أولادهما -منذ سن الوعي والتمييز- بحقوق القرابة والرحم؛ لتنمو في نفوسهم محبة من تربطهم بهم رابطة القرابة والنسب حتى يقوموا بواجب الصلة بهم والإحسان إليهم عندما ينضجوا، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء:1]، وأفضل الثمرات في صلة الرحم هي التي أرشد إليها المربي الأول ﷺ عسى أن نعلمها لأولادنا، وهي:

- **صلة الرحم هي ثمرة الإيمان بالله**، روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمة، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».
- **صلة الرحم تزيد في العمر وتوسع في الرزق**، لما روى الشيخان عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب الله أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره (يزاد في عمره) فليصل رحمة**».
- **صلة الرحم تدفع مِيتة السوء وتعمّر الديار وتثمّر الأموال وتغفر الذنوب وتكفر الخطايا**، وتيسر سبيل الحساب، وتدخل صاحبها الجنة، وترفع الواصل إلى الدرجات العلا من الجنة، والأحاديث الدالة على ذلك موجودة للآباء الذين يريدون الرجوع إليها.

3. **حق الجار**: والجار هو كل مجاور لك عن اليمين والشمال والفوق والتحت إلى أربعين جار، فكل هؤلاء جيرانك، لهم عليك حقوق وعليهم لك واجبات، وعندما اشتكى أحد الصحابة إلى الرسول أذى جاره بعث الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وعليًّا يأتون المسجد فيقومون على بابه فيصيحون: «ألا إن أربعين دارًا جار، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه» (شروره)، وحقوق الجار - في نظر الإسلام - ترجع إلى أربعة أصول، هي: ألا يلحق الرجل بجاره أذى، وأن يحميه ممن يريده بسوء، وأن يعامله بإحسان، وأن يقابل جفاءه بالحلم والصفح.

أ - كف الأذى عن الجار: وأخطر الأذى الزنا والعياذ بالله وانتهاك الحرمة، ثم أذى اليد واللسان، يقول الشاعر:

إذا ما بت أختل غُرس جاري ... ليُحنيني الظلام فما خفيتُ

أأفضح جارتي وأخون جاري ... فلا والله أفعل ما حييتُ

ويقول عنترة :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

ويقول حسان بن ثابت:

فما من أحد منا بمهدٍ لجاره ... أذاة ولا مزرٍ به وهو عائدُ

لأنا نرى حق الجوار أمانةً ... ويحفظه منا الكريم المعاهدُ

ب- حماية الجار:

قال حسان بن ثابت:

ولا ضيفنا عن القرى بمدفع ... وما جارنا في التائبات بمُسلَمِ

وقال أيضًا:

يواسون مولاهم في الغِنا ... ويحمون جارهم أن ظُلم

و كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إذا انصرف من عمله ودخل بيته يرفع صوته في بيته منشدًا:

أضـــاعوني وأي فتـــى أضـــاعوا ليـــوم كريهـــة وســـــــداد ثغـــر

فيسمع أبو حنيفة غناءه بهذا البيت ويتأذى بذلك، فأخذ الحرس في ليلة من الليالي هذا الجار وحبسوه، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، وسأل عنه في الغد فأخبروه بحبسه، فركب إلى الأمير عيسى بن موسى وطلب منه إطلاق جاره فأطلقه في الحال، فلما خرج الفتى دعاه أبو حنيفة وقال له: فهل أضعناك يا فتى؟ قال: لا، ولكن أحسنت عليّ وتكرمت، أحسن الله جزاءك، وأنشد:

ومـــا ضرّنـــا أنـــا قليـــلُ وجارنـــا عزيـــز وجـــار الأكثـــرين ذليـــلُ

ج - الإحسان إلى الجار:

يدخل في حسن الجوار الإحسان، وهو: أن يُعزيه عند المصيبة، ويهنأه عند الفرح، ويعوده عند المرض، ويبدأه بالسلام، ويرشده إلى ما ينفعه بعلمه ويواصله بما استطاع من إكرام، قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**» (رواه الشيخان)، وروى الطبراني عن جابر: «**الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك، وجار له حقّان وهو المسلم: له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق: مسلم له رحم، فله حق الجوار والإسلام والرحم**».

قال مجاهد: كنت عند عبدالله بن عمر، وغلام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي -قالها مرارًا- لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه**» (رواه الشيخان).

د - احتمال أذى الجار:

للمرء فضل أن يكف عن جاره الأذى، وفضل أن يدفع عنه السوء، وفضل أن يواصله بالإحسان جهده، وهناك فضل رابع هو أن يتجاوز عن أخطائه، ويتغاضى عن هفواته، قال الحريري في مقاماته: **وأراعي الجار وإن جار**، وروى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **تحلم على من جهل عليك، وتعفو عن من ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك**».

ويقول علماء التربية: إن التسرع إلى دفع السيئة بمثلها أو أشد منها دون نظر إلى ما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة هو دليل على ضيق الصدر والعجز عن كبح جماح الغضب، وإنما يتفاضل الناس في الأخلاق والسيادة على قدر تدبرهم للعواقب وإسكاتهم لثورة الانفعال إذا طغت.

هذه هي أهم الأصول في حقوق الجار، فما على الأبوين إلا أن يسعيا جهدهما في تخليق الولد على فضيلة حسن الجوار ومراعاة حقوق الجار، وبالذات في هذا الزمان الذي قلما يعرف المرء جاره، بله أن يحسن إليه، حتى ولو كان الجار في العمارة نفسها، ولا بد أن تكون **التربية بالقدوة، فيرى الولد من أبويه من الإحسان بالجار** ما يجعله عندما يكبر يحسن جوار من حوله، وليتنا نعود إلى الأيام التي كانت المرأة ترسل إلى جاراتها طبقًا كلما طبخت شيئًا مميزًا، فلا يعود الطبق إلا وهو ممتلئ بما هو أطيب، وتخليق الولد على هذه الأصول الأربعة في حقوق الجار لايتم إلا **بثلاثة أشياء: تلقينها شفويًا في كل مناسبة، وتطبيقها عمليًّا مع من كان في سنة من أولاد الجيران، وكون الأب والأم قدوة في حسن التعامل مع الجيران.**

4- **حق المعلم**: إن تربية الولد على احترام المعلم وتوقيره والقيام بحقه من الأدب الاجتماعى الرفيع، وخاصة إن كان المعلم يتسم بالصلاح ويتصف بالتقوى ويتميز بمكارم الأخلاق، روى أحمد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**»، وروى الطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط**». وللإسلام في هذا الأمر عدة وصايا:

- على المتعلم **أن يعرف لمعلمه حقه** ولا ينسى له فضله، ورحم الله شوقي حيث قال:

قف للمُعلّم وفّه التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا

أعَلِمتَ أشرف أو أجل من الذي ... يبني وينشئ أنفسًا وعقولا

- **وعلى المتعلم أن يصبر** على جفوة معلمه وشدته ولا يصده ذلك عن ملازمته والاستفادة منه، قال بعض السلف: «من لم يصبر على التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبَر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة»، وقيل لسفيان بن عيينة: إن قومًا يأتوك من

أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا ويتركوك، فقال:«هم حمقى أذاهم، تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي» :

إن المعلـــــم والطبيـب كلاهمـا لا ينــصحان إذا همـــا لم يكرمـا

فاصــبر لــدائك إن أهنــت طبيبــه واصــبر لجهلـك إن جفـوت معلـما

- وعلى المتعلم **أن يجلس بين يدي معلمه جلسة الأدب** بسكون وتواضع واحترام، وأن يتجنب في حضرته كل ما يخل بالوقار وينافي الأدب والحياء، ومما قاله علي ﷺ في تبيان حق العالم على المتعلم: «من حق العالم عليك أن تسلّم على القوم عامة، وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيديك ولا تغمز بعينيك غيره، ولا تقولن: قال فلان خلاف قوله، ولا تغتابن عنده أحدًا ولا تطلبن عثرته وإن ذل قبلت معذرته، وعليك أن توقره لله تعالى، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته ولا تساور أحدًا في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه إن كسل، ولا تشبع من طول صحبته فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء».

- وعلى المتعلم أن **لا يدخل على معلمه** في الفصل أو البيت أو المكان المخصص له **إلا بإستئذان** ولا يزيد في الاستئذان فوق ثلاث مرات، فإن لم يُأذن له ينصرف، وينبغي أن يدخل على المعلم كامل الهيئة متطهر البدن، وأن يدخل عليه وقلبه فارغ من الشواغل ونفسه صفية ليعي ما يقول، وقد روي عن ابن عباس أنه كان يجلس في طلب العلم على باب زيد بن ثابت حتى يستيقظ فيقال له: ألا نوقظه لك؟ فيقول: لا. وربما طال مقامه وقرعته الشمس أو هب عليه التراب.

- وعلى المتعلم إذا سمع المعلم يذكر دليلًا لحكم أو يحكي حكاية أو ينشد شعرًا وهو يعلمه **أن يصغي إليه إصغاء مستفيدًا**، ولا ينبغي له أن يقرر سؤال ما يعلمه ولا استفهام ما يفهمه، فإن ذلك يضيع الوقت وربما أضجر المعلم ذلك.

هذه هي **أهم الآداب التي يجب أن يتلقفها الولد من أبويه**، وحينما يفتح عينيه على تلقين هذه الآداب ويتربى على التخلق بتلك الحقوق فسوف يؤدي ما عليه من حقوق تجاه من يعلمونه، **والتركيز** من قبل الأبوين **في إعداد الولد خلقيًّا يجب أن يكون مقدمًا على تكوينه**

العلمي والثقافي؛ لأن التحلي بالمكارم مقدم على تعليم المسائل، قال الحبيب بن الشهيد لابنه: يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم؛ فإن ذلك أحب إليَّ من كثير من الحديث، وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك: نحن إلى كثير من الأدب أحوج إلى كثير من العلم!! وقال بعض السلف لابنه: يا بني لأن تعلم بابًا من الأدب أحب إليَّ من أن تعلم سبعين بابًا من العلم.

5- **حق الرفيق**: من الأمور المهمة التي **يجب أن يلحظها الأبوان في أولادهما اختيار الرفيق** المؤمن والجليس الصالح، لما له من تأثير كبير في استقامة الولد وصلاح أمره، وصدق من قال: الصاحب ساحب، وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عنه قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولنسمع إلى المربي الأول ﷺ كيف يوجه الآباء في اختيار الصحبة الصالحة لأولادهم:

- روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) أو تشتري منه أو تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحًا منتنة**»، وروى ابن عساكر أنه قال: «**إياك وقرين السوء؛ فإنك به تعرف**».

- وروى الترمذي عنه ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**».

من هذا كله وجب على الأبوين أن ينتقيا للولد الزمرة الصالحة من الرفقاء، ويعلمونه حقوق المصاحبة، وأهمها:

1- السلام إذا لقيه.
2- عيادته إذا مرض.
3- تشميته إذا عطس.
4- زيارته في الله.
5- إعانته وقت الشدة.
6- إجابة دعوته إذا دعاه.
7- التهنئة بالأعياد والمناسبات.
8- الإهداء في المواسم.

قال ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»، وقال ﷺ: «**يا نساء المؤمنين تهادين ولو بفرسن شاة** (ظلف الشاة)؛ **فإنه ينبت المودة، ويذهب الضغائن**» (رواه الطبراني).

ومما يتفرع من حق الرفيق الدائم حق الرفيق المؤقت، وهو الذي يصحبك في سفر أو دراسة، وهو الذي عنيه القرآن الكريم: ﴿**وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ**﴾ [النساء: 36]، فله حق الرعاية والإكرام، فقد كان مع رسول الله ﷺ رجل من أصحابه وهما على راحلتين، فدخل رسول الله ﷺ غيطة (مجمع شجر) فقطع غصنين؛ أحدهما معوج، فخرج وأعطى صاحبه القويم (الجيد منهما)، فقال الرجل: كنت يا رسول الله أحق بهذا. فقال: «كلا يا فلان؛ إن كل صاحب يصحب آخر فإنه مسئول عن صحبته ولو ساعة من النهار».

6- **حق الكبير**: الكبير هو من هو أكبر منك سنًّا وأكثر منك علمًا وأرفع تقوى ودينًا وأسمى جاهًا ومنزلة، فهؤلاء إن كانوا مخلصين لدينهم معتزين بشرعية ربهم فيجب على الناس أن يعرفوا لهم فضلهم ويقوموا بواجب احترامهم، روى الترمذي عن أنس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أكرم شاب شيخًا لسنّه إلا قيض الله له من يكرمه عن سنه**»، وروى أبو داود عنه ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير العالي فيه أو الجافي عنه** (التارك له) **وإكرام ذي السلطان المقسط** (العادل)»؛ ولذا فللكبير الحقوق التالية:

أ- إنزال الكبير منزلته اللائقة به، قال بعض وفد عبد القيس: قدمنا على رسول الله ﷺ فرحب بنا ودعانا، ثم نظر إلينا، وقال: «من سيدكم وزعيمكم؟» فأشرنا جميعًا إلى المنذر بن عائذ، فلما دنا منه المنذر أوسع القوم له حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقعد عن يمين رسول الله ﷺ فرحب به ولاطفه وسأله عن بلادهم... إلى آخر الحديث

ب- البدء بالكبير في الأمور كلها كأن يتقدم الكبير على الصغير في صلاة الجماعة، وفي التحدث إلى الناس، وفي الأخذ والعطاء عند التعامل.

ج- الترهيب من استخفاف الصغير الكبير: وقد تقدم الحديث في ذلك:

د- الحياء منه: وقد تخلق بهذا الخلق الرفيع أبناء الصحابة، فقد روى الشيخان عن ابن سعيد قال: كنت غلامًا عند رسول الله ﷺ وكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا إن كان هناك رجال أسن مني.

هـ- القيام له إذا قدم: روى الشيخان أن سعد بن معاذ لما دنا إلى المسجد قال النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**».

و- تقبيل يده: أخرج بن عساكر أن زيد بن ثابت قُربت له دابة ليركبها فأخذ ابن عباس بركابها، فقال زيد: تنحَّ يا بن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا وعلمائنا، فقال زيد: أرني يدك فأخرج يده فقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

وعلى المربين أن ينتبهوا عند تخليق الولد على القيام وتقبيل اليد إلى أمرين:

الأول: ألا يغالى في ذلك؛ لما للمغالاة من تأثير سيئ على نفسية الولد، و**الثاني**: ألا يزيد على الحد الذي أمر به الشرع، كانحناء بعد القيام أو الركوع أثناء التقبيل.

هذه أهم الأسس التي وضعها الإسلام في مراعاة حقوق الآخرين، ولا شك أن الأبوين حين يضعان بين يدي أبنائهما هذه الأسس فهي تساعد على تخليق الولد على احترام الآخرين والتأدب معهم والإحسان إليهم، حتى تصل الأمة كلها إلى الذروة في الخلق الاجتماعي النبيل والأدب الإسلامي الرفيع.

ج- التزام الآداب العامة: ومن القواعد التي وضعها الإسلام في تربية الولد اجتماعيًّا تعويده منذ نعومة أظفاره على آداب اجتماعية عامة، وتخليقه على مبادئ تربوية مهمة، وهذه الآداب الاجتماعية مرتبطة -كل الارتباط- بما قدمناه عن غرس الأصول النفسية في أول هذا الفصل؛ لأن التعلم الاجتماعي أو التزام الآداب العامة حينما يقوم على عقيدة الإيمان والتقوى ومبادئ الأخوة والرحمة ومكارم الإيثار والحلم، فإن التربية تبلغ مراتبها العليا وغاياتها المثلى والخطوط العريضة لهذه الآداب هي:

1- أدب الطعام والشراب.
2- أدب السلام.
3- أدب الاستئذان.
4- أدب المجلس.
5- أدب الحديث.
6- أدب المزاح.
7- أدب التهنئة.
8- أدب عيادة المريض.
9- أدب التعزية.
10- أدب العطاس والتثاؤب.

وعلى من يريد الاستزادة في التفصيل عن هذه الآداب الرجوع إلى مرجع تربية الأولاد في الإسلام، وأحب أن أشير إلى أن هذه الآداب الاجتماعية لم يعتنِ بها دين أو عقيدة أو مجتمع كالإسلام، وأن هذه الآداب تدل على أن الإسلام دين جاء لإصلاح المجتمعات الإنسانية، لا دين فردي للعلاقة بين العبد وربه فقط، ولا دين كهنوتي لا يفهمه إلا الكهان.

د- المراقبة والنقد الاجتماعي: من المبادئ الاجتماعية المهمة في تكوين الولد سلوكيًّا وتربيته اجتماعيًّا تعويده على **رقابة المجتمع والنقد الاجتماعي البناء** لمن يعايشهم ويلتقي معهم، والنصح لكل إنسان يرى منه انحرافًا، كل ذلك بأدب الإسلام، وتعويد الولد منذ نشأته على **واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** - الذي هو من قواعد الإسلام الأساسية، والذي يؤدي إلى نشوء جيل يحارب الفساد والانحراف عن قيم الأمة ومُثلها، وذلك حين يبلغ الولد السن التي تؤهله أن ينقد وأن ينصح وأن يقول، وهذه التربية تجعل هذا الجيل **يبتعد عن السلبية** التي انتشرت والتي تؤدي إلى أنه يوشك أن يعمنا الله بعقاب كما قال الصادق المصدوق.

ولكن هناك أصول ومراحل في تكوين الولد على النقد الاجتماعي وحراسة المجتمع، تبدأ بالتوعية بأهمية هذا الأمر:

أ- حراسة الرأي العام وظيفة اجتماعية:

فرض الكفاية في الإسلام الذي يؤدي إلى حراسة الرأي العام الذي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو فرض على الأمة على اختلاف أصنافها دون تفريق أو تمييز بين حكام وعلماء وبين عامة الناس، أو بين رجال ونساء أو بين شيب وشباب أو بين صغير وكبير، إنما **هي فريضة على الكل على حد السواء**، واعتبر الإسلام أن هذه المهمة **وظيفة اجتماعية لا يعفى منها أي إنسان**، ولكن كل حسب حاله وطاقته المادية والإيمانية، والنبي ﷺ حين كان يأخذ البيعة من أصحابه كان يعاهدهم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، **وعلى أن يقولوا الحق أينما كانوا ولا يخافون في الله لومة لائم**، وقد مثل ﷺ رقابة المجتمع للفرد ورقابة الفرد للمجتمع بمثال السفينة المشهور، ليؤكد لكل مسلم وظيفته الاجتماعية في الرقابة والأخذ على يد الظالم، حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها، وتكون دائمًا في مأمن من عبث العابثين واستبداد الطغاة الظالمين، ومما يؤكد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع أبناء الأمة استحقاق بني إسرائيل لعنة الله لعدم تناهيهم عن المنكر، ولا يستحق الإنسان لعنة الله إلا إذا ترك أمرًا واجبًا في عنقه، يقول تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ [المائدة: 78]، فدلت الآية على **وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم رجل أو امرأة، شيبًا وشبابًا.**

وروى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**»، فليغرس الآباء والأمهات بذور **الجرأة الأدبية والشجاعة النفسية في القول والعمل في نفوس أبنائهم**، حتى ينشأوا من صغرهم على حراسة الرأي العام، والنقد الاجتماعي البنّاء لكل إنسان.

ب- الأصول المتبعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يجب أن يأخذ الآباء والأمهات أنفسهم بهذه الأصول، ويعلموها أبناءهم ويلقنوها لهم، حتى يعقلوها وتكون الاستجابة لهم أكبر، ولا ينكروا المنكر فيتسببوا في منكر أشد، وهي:

أ - أن يكون فعله مطابقًا لقوله.

ب- وأن يكون المنكر الذي ينهي عنه مُجمعًا على إنكاره.

ج- وأن يتدرج في إنكار المنكر.

د- وأن يكون لطيفًا رفيقًا حسن الخلق.

هـ- وأن يكون صابرًا على الأذى.

ومن يرد الاستزادة ففي المرجع: (تربية الأولاد في الإسلام) الأحاديث الدالة على ذلك.

ج- التذكير الدائم بمواقف السلف:

ومن العوامل التي ترسخ في الناشئ خلق الجرأة والشجاعة وتهيب به في حراسة الرأي العام، وتجعله يتخذ مواقف حاسمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عرض مواقف السلف في ذلك، ومنها:

- في كتاب «إحياء علوم الدين»: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره، وحوله الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال:«يا أمير المؤمنين اتقِ الله في حرم الله وحرم رسوله ﷺ فتعاهده بالعمارة، واتقِ الله في أولئك المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتقِ الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم، واتقِ الله فيمن على بابك فلا تغفل عنه ولا تغلق بابك دونه، فقال: أجل، أفعل، ثم نهض، فقبض عليه عبد الملك، وقال:

يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة. ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا -وأبيك- الشرف».

والأمثلة على مواقف السلف كثيرة تدل كلها على قيام الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيانة للمجتمع من أن يتطرق إليه عبث أو فوضى، وما الفرد في المجتمع إلا لبنة من لبناته، فعليه أن يوجه الرأي العام إلى ما فيه المصلحة ودرء المفسدة، وصدق الله العظيم حين أكد على أن كل الناس في خسران إلا الواعظين: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ * إلا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ (العصر).

هذه أهم الأسس التي وضعها الإسلام في النقد الاجتماعي وفي رقابة المجتمع، وأضيف أمرًا بين يدي الآباء ليوجهوا إليه ويذكروا به ويركزوا عليه، وهو تصحيح مفهوم تصور النشء - والمجتمع كله - عن شمول الإسلام لكل نواحي الحياة، هذا الشمول الذي يوفق بين مطالب الفرد ومصالح الجماعة، ويجمع بين الدين والدنيا والروح والمادة والمصحف والسيف والعبادة والجهاد، وكم يكون المسلم جاهلًا حين يظن الإسلام دين عبادة وليس دين جهاد، أو أن الإسلام لا علاقة له بنظام الحكم ولا دخل له في تنظيم شئون الحياة والمجتمع.

2-7 مسئولية التربية الجنسية:

المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل بالقضايا التي تتعلق بالغريزة الجنسية وتتصل بالزواج وأحكامه، وقد كثر الحديث هذه الأيام عن التربية الجنسية في ميثاق الطفل الذي أصدرته الأمم المتحدة وفي وسائل الإعلام، ولكن الغرض من هذا الحديث خبيث، وهو نشر الثقافة الجنسية بين الأولاد والبنات لتشجيعهم على الممارسة الآمنة للجنس، أما **التربية الجنسية في الإسلام فهي تحصين للأولاد والبنات من الفاحشة** واطلاعهم إلى آداب الاستئذان والعورة وأحكام الطهارة من الجنابة ومن الحيض، وعندما يكونون في سن الزواج اطلاعهم على الأحكام المتصلة به، وذلك في طهر وعفة، ولكن بصراحة ووضوح لأنه «ليس في الدين من حرج»، حتى إذا نشأ الأبناء والبنات وترعرعوا تفهموا أمور الحياة، فعرفوا ما يحل وما يحرم، وأصبح سلوكهم إسلاميًّا حقًّا، لا يجري وراء شهوة ولا يتخبط في طريق الغواية.

ولكن يجب أن يخاطب الأبوان كل سن بما يناسبه؛ ولذا يمكن تقسيم المراحل السنية من حيث التربية الجنسية إلى المراحل الآتية:

- من 7 – 10 سنوات: وهو الذي يسمى بسن التمييز، حيث يلقن الولد فيه الاستئذان وآداب النظر.
- من 10 – 13 سنة: ويسمى سن المراهقة، حيث يجنب الولد فيه كل الاستثارات الجنسية.
- من 13 – 16 سنة: ويسمى سن البلوغ، ويتعلم الولد فيه كل آداب الاتصال الجنسي إذا كان مهيئًا للزواج.
- أكبر من 16 سنة: وهو سن الشباب: يُعلم الولد فيه آداب الاستعفاف إذا كان لا يقدر على الزواج.

وهناك سؤال يتردد دائمًا هذه الأيام، وهو: هل يجوز – أو هل يستحسن – مصارحة الولد جنسيًّا وهو في سن التمييز؟ والإجابة تعتمد على مصارحته بماذا، وبأي أسلوب ولأي هدف؟ فإذا كان الهدف هو تعليمه دينه وما يحل له وما يحرم عليه فهذا هدف نبيل، وإذا كان أسلوب المصارحة بها هو التركيز على آداب الاستئذان والنظر؛ لأن الولد سمع من أقرانه أو دخل بالصدفة على بعض المواقع الإباحية على الشبكة، فلا بد من المصارحة وتحصينه مما يراد به من قِبل من يريدون إشاعة الفاحشة في مجتمعنا.

والسر هو في أن تصاحب ابنك أو ابنتك حتى يصارحك بما في عقله – أو عقلها– فتستطيع أن تواجه الأمر في أوله بالحكمة، ولا حياء في الدين، ولكن لكل سن ما يناسبه، إلا إذا عرف الولد أشياء أكبر من سنهما عن طريق رفقاء السوء أو الإعلام الفاسد أو النت، فلا بد من توضيح الأمور بالأسلوب القرآني الحكيم العفيف.

1- **آداب الاستئذان**:

وهو تعريف الولد أصول الاستئذان على الأقل في الأوقات التي يكون فيها الرجل أو المرأة في حالة لا يحب أن يطلع عليها أحد من الأولاد الصغار، وقد فصل القرآن الكريم هذا الأدب الأسري في سورة النور، بحيث يرشد الله المربين إلى أصول التربية المنزلية في استئذان

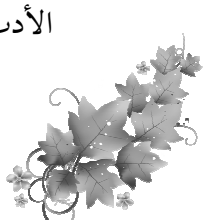

الصغار على أهليهم عندما يكونون في سن ما قبل البلوغ، في ثلاثة أوقات:

الأول: من قبل صلاة الفجر، لأن الأبوين يكونان نائمين أو مختلطين ببعضهم، والثانى وقت الظهيرة، لأن الإنسان قد يضع ثيابه في هذا الوقت مع أهله، والثالث: من بعد صلاة العشاء لكون الوقت وقت نوم وراحة وعلاقة حميمة، ولا يخفى ما في الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة من تعليم الولد أصول الأدب مع الأهل، حتى لا يفاجأ الولد إذا دخل باطلاعه على حالة لا يحسن أن يرى أهله فيها، أما إذا بلغ الأولاد سن الرشد والبلوغ، فعلى المربين أن يعلموهم آداب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها، تقول أصول التربية: إن اللفتات القرآنية مثل: ﴿**وَإِذَا بَلَغَ الأطفال مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [النور:59] تظهر اهتمام الإسلام البالغ بتربية الأولاد منذ أن يعقلوا على الحياء الممدوح والأدب الرفيع، حتى إذا بلغ سن الشباب كان نموذجًا في كريم أخلاقه وحميد فعاله.

2- **آداب النظر**:

ويجب أن يهتم الأبوان بتعويد الأولاد في سن التمييز آداب النظر وتعليمهم ما يحل لهم النظر إليه وما يحرم، وآداب النظر التي يجب أن يتلقاها الأولاد ويُعودوا عليها مرتبة كما يلى:

أ- **آداب النظر إلى المحارم**:

كل امرأة تحرم على الرجل حرمة مؤبدة فهي من ذوي محارمه والعكس، وبذلك تكون المحرمات بسبب المصاهرة أربعة: زوجة الأب وزوجة الابن الذي من صلبه وأم الزوجة وبنت الزوجة، وقال ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**» فالمحرم الذكر يجوز له أن ينظر من ذوات محارمه إلى مايظهر منهن غالبًا: كالرقبة والرأس والكفين والقدمين، وليس له النظر إلى ما يستتر غالبًا وهو كل ما دون ذلك، وذلك لأن الحاجة لا تدعو إلى النظر إليه، ولا تؤمن معه الشهوة، ولا تليق بشهامة الرجولة ولا تتفق مع عفة الأنثى، ويعتبر ذلك درءًا للفتنة.

ب- **أدب النظر إلى المخطوبة**:

تجيز الشريعة للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته وأن تنظر هي إليه ليكون كل منهما على بينة من الأمر في اختيار شريك الحياة، روى مسلم أنه ﷺ قال: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم**

بينكما»، ولا يجوز له تكرار النظر إلا إذا دعت الحاجة وكان عازمًا على الزواج منها، ولا يجوز له مصافحتها أو الاجتماع معها إلا بوجود أحد محارمها، ولا بد أن ننبه هنا إلى انتشار أعراف فاسدة من الاختلاط بلا حدود بين الخاطب بخطيبته بدعوى التعرف على أخلاقه وأخلاقها، ففي أوربا تطور الأمر إلى أنه أصبح غير مستهجن أن يعاشرها معاشرة الزوج لزوجته ليعرفا هل هناك توافق جنسي بينهما أم لا!! والإسلام يحارب الاختلاط بلا حدود ولا قيود، ولأنه من المحتمل ألا يتم الزواج فيؤدي هذا الاختلاط إلى أن تصبح سيرتها على كل لسان، وتصبح عرضة للتهمة ومثالًا للشبهة.

ج- أدب النظر إلى المرأة الأجنبية:

لا يجوز للرجل البالغ أن ينظر إلى امرأة أجنبية -كل من يحل له الزواج منها- إلا للزواج منها ولو كانت قريبته، كابنة عمه وابنة خاله وزوجة أخيه وزوجة عمه وأخت زوجته، كل أولئك تجعل الخلطة بين العائلات النظر إليهن والتضاحك معهن؛ بل ولمسهن شيئًا معتادًا، وهو ما يحرم على الرجل البالغ والمرأة البالغة، ولا يعتد بقول من يقول: إنها ابنة خاله وقد تربت معه، أو إنه ابن عمها وهو كأخيها؛ فذلك من مداخل الشيطان، وقد روى الطبراني والحاكم أن رسول الله ﷺ روى عن رب العزة فقال: «النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه». والأحاديث المتعلقة بغض البصر أكثر من أن تحصى، ولا شك أن الغاية التي يهدف إليها الإسلام من غض البصر هو إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه الغرائز في كل حين.

وقد شاع في البلاد الإسلامية - للأسف - أن النظرة البريئة والحديث الطلق والدعابة المرحة بين الجنسين هو تنفيس وترويح، وأنها تخفف من حدة الضغط الجنسي وتقي من الكبت ومن العقد النفسية، ويعقدون مقارنة بين الدول الإسلامية التي تمنع الاختلاط وبين الدول الأخرى، ويدللون على المفاسد الأخلاقية بالمملكة العربية السعودية مثلًا، والإسلام حجة على من يتبعه، وليس المسلمون حجة على الإسلام سواء في المملكة السعودية أو في غيرها، ولنا فيما حدث في الغرب عبرة عندما تساهلوا في الاختلاط بين الجنسين، فشاعت الفاحشة وانتشر الإيدز وضاع الأولاد.

وأي خبير بالتربية -وخصوصًا بالمراهقين- يعلم أن النظرة تثير والحركة تثير والضحكة تثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى ميل كل جنس إلى الجنس الآخر في حدوده الطبيعية، ثم يلبي الفتى أو الفتاة نداء الغريزة بالزواج. أما عن أدب نظر الرجل إلى الرجل، وأدب نظر المرأة إلى المرأة، وأدب نظر المرأة الكافرة إلى المرأة المسلمة، وأدب نظر المرأة إلى الأجنبي، فكل ذلك يُرجع فيه إلى كتاب تربية الأولاد في الإسلام.

3- **تجنيب الولد الإثارة الجنسية**:

ومن مسئوليات الأبوين تجنيب أولادهما كل ما يثيرهم جنسيًّا ويفسدهم خلقيًّا، وذلك عندما يبلغون سن المراهقة (من العاشرة إلى البلوغ)، وقد أجمع علماء التربية أن مرحلة المراهقة من أخطر المراحل في حياة الإنسان، ومما يدل على هذا أن الإسلام أمر الأولياء أن يجنبوا أولادهم المثيرات الجنسية وما يؤدي إلى هياج الغريزة، وأمر النساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زيتهن إلا ما ظهر منها، والتفريق بين الأولاد في المضاجع في هذه السن.

روى الحاكم وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»؛ مخافة إذا اختلطوا في فراش واحد وهم في سن المراهقة - أن يروا عورات بعضهم، أو يحدث تلامس يثيرهم جنسيًّا، وهذا دليل قاطع على أن الإسلام يأمر أولياء الأمور بأن يتخذوا التدابير الإيجابية والأسباب الوقائية حتى ينشأ الولد على الصلاح بعيدًا عن كل ما يثيره جنسيًّا.

وروى البخاري أن النبي ﷺ أردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه، وكان الفضل قد ناهز البلوغ وطفق الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة من خثعم كانت تسأل النبي ﷺ عن أمور دينها، فأخذ النبي ﷺ بذقن الفضل فحوّل وجهه عن النظر إليها، وقال لعمه بعد ذلك: «رأيت شابًّا وشابة فلم آمن عليهما الفتنة»، يؤخذ من هذا أن النبي ﷺ كان يهتم بتوجيه الولد المراهق إلى ما يصلحه ويضبطه غريزيًّا، و**على الأبوين تجنيب أولادهما كل ما يثيرهم جنسيًّا**، وبالذات عن طريق التلفاز والنت، والشبكة أخطر لأن بها من المواقع الإباحية ما ليس في التلفاز، ويمكنه عن طريقها التحدث مع من يشاء من الجنس الآخر، وهناك مواقع بها كاميرات يرى بها نساء وهن كاسيات عاريات، فلا بد أن يحذر الوالدان أشد الحذر من هذا

الشراك من شَرك إبليس وذلك عن طريقين:مسئولية الرقابة الداخلية ومسئولية الرقابة الخارجية .

فأما **الرقابة الداخلية**: فاتباع كل ما أمر به الإسلام للبعد عن كل ما يثير الولد جنسيًّا وذلك **بمنع**:

- دخوله على أبويه وهو في سن التمييز في أوقات الراحة والنوم والخلوة كما أسلفنا.
- ودخوله على النساء الأجنبيات وهو في سن المراهقة وهن في أجمل زينة، أو رؤيتهن في التلفاز أو النت على هذه الحال.
- ونومه مع أخواته البنات في مضجع واحد.
- ونظره إلى مكان العورة المكشوفة من المرأة بدايةً من سن التمييز وما بعده.
- والسماح له بالمجلات ذات الصور العارية وتركه للنت ليستعمله كما يشاء.
- وإتاحة المجال له أن يصادق من قريباته وبنات الجيران من يشاء وهو في سن المراهقة.

أما الرقابة الخارجية فهي محاولة عمل اتفاق مع ابنه وابنته في سن المراهقة على ما يجوز وما لا يجوز لهما مشاهدته أو قراءته، وتوضيح أشد الوسائل التي تثير المراهقين، وهي السينما والتلفاز التي قلما تجد فيهما فيلمًا هادفًا أو حلقة مفيدة، وعلى العكس أصبحت السينما والتلفاز وسائل الذين يريدون إشاعة الفاحشة في المجتمع، وأصبحت أغلب الأفلام تركز على الخيانة الزوجية والتحلل من القيم البالية – حسب تعبيرهم – وتدعو لتحرر المرأة في سفورها، وأهمية الاختلاط بين الجنسين.

وهناك كذلك مفسدة أزياء النساء الفاضحة، والموضة التي أصبحت قادرة على سلب عقول نساء العالم بحيث يمشون وراءها سواء كانت تناسبهن أم لا، ليس من الناحية الأخلاقية فحسب، بل من الناحية الجسدية أيضًا، وتفننت بيوت الأزياء ومصممو الملابس في إبراز مفاتن المرأة وإثارة غرائز الشباب، ومع صعوبة الزواج – من الناحية المادية– فإن الأزياء الفاضحة أدت إلى انتشار ظاهرة تحرش الأولاد بالبنات وظاهرة الزواج العرفي.

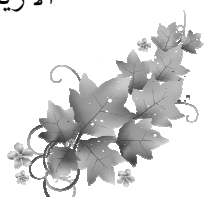

وهناك مفسدة المواخير السرية والعلنية، مثل الكافيتريات والمراقص وأماكن اجتماع الأولاد والبنات في الحفلات الماجنة، وللأسف بعض دول الخليج الإسلامية أصبح فيها أماكن للمومسات الروسيات تحت سمع وبصر البوليس وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما المفسدة الكبرى فهي النت الذي أصبحت المواقع الإباحية فيه مجانية أو تكاد، وأصبح كل شاب أو فتاة لديه حاسب شخصي يستطيع دخولها، وأصبحت الأماكن التي بها الشبكة متاحة مجانًا - مثل الكافيتريات والنوادي - في ازدياد مستمر فتزايد دخول الشابات والشبان على مواقع التواصل الاجتماعي؛ حيث يتبادلون الأحاديث الماجنة، وعلى المواقع الإباحية حيث يتبادلون الصور العارية، وأصبحت شبكة الإنترنت مفسِدة أي مفسدَة، ويزيد الطين بلة لو كان هناك صحبة فاسدة للأولاد أو البنات يدفعوهم -ويدفعونهن- في طريق الغواية والفساد ويزينون لهم الاختلاط والزواج العرفي والزنا في بعض الحالات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأصبح الزنا أيسر شيء وأسهله والزواج أصعب شيء وأعسره.

ولذا **يجب على الأبوين أن يقوما بمسئوليتهما كاملة في رقابة أولادهما** وملاحظتهم سواء أكانت الرقابة داخلية أو خارجية ولكن هل الرقابة وحدها تجدي؟ في تقدير د. علوان إن هناك ثلاث وسائل إيجابية إذا انتهجها المربون انصلح الولد خلقيًّا وانضبط عزيزيًّا، وهي:

- وسيلة التوعية.
- وسيلة التحذير.
- وسيلة الربط.

1- **وسيلة التوعية**: إذا لقن الولد منذ بلوغه مرحلة التمييز أن هذا الفساد الاجتماعي والانحلال الأخلاقي هو مخطط من أعداء الإسلام لهدم شباب هذه الأمة عن طريق الماسونية التي تبنت آراء العالم النفسي «فرويد» وهو يهودي، والذي يفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية والاسترسال في طريق الشهوة واللذة، وتبنت آراء كارل ماركس - وهو يهودي أيضًا - الذي ألغى الأديان وأطلق عقال الشيوعية التي دمرت المجتمعات التي طبقتها، وتبنوا آراء نيتشه الذي ألغى الأخلاق وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يؤدي إلى استمتاعه، وكانت بروتوكولات الصهاينة تقول: «يجب علينا (الصهاينة) أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام، وتبديد جيش المتنصرين للدين».

1ويقول أحد أقطاب المستعمرين: «كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات»، ووضع الشيوعيون في وثيقتهم السرية في بحث استشعار المسئولية:«ونجحنا في تعميم ما يساعد على هدم الدين من الأفلام والمسرحيات والمحاضرات والصحف والمجلات التي تروج للإلحاد وتدعو إليه وتهزأ بالدين ورجاله وتدعو للعلم وحده».

ويتبين من هذه الأقوال أن اليهودية والماسونية والشيوعية والاستعمار متضافرون ومتفاهمون على إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق الخمر والجنس والسينما والتلفاز والإعلام، وقد وصلوا – للأسف – إلى كثير مما يهدفون إليه، **فلا بد أن يضاعف الأبوان جهدهما مع أولادهما لتوعيتهم حتى يعرفوا ما يخطط لهم أعداؤهم**، ولا بأس أن تلقى في روعهم أنهم إذا تقلبوا في حمأة الفساد انساقوا وراء الإباحية والتحرر فسيكونون منفذين من حيث لا يدرون ولا يعلمون لمؤامرات اليهودية والصليبية والشيوعية في أرض الإسلام.

2- **وسيلة التحذير**: وهي تعد من أفضل الوسائل الإيجابية في كف الولد عن الحرام وزجره عن الفاحشة، فهذه الوسيلة تصور للولد حقيقة الأخطار التي تنجم عن الاسترسال في الشهوات والانزلاق في الإباحية.

وأهم أخطار الفاحشة: أخطار صحية مثل مرض السيلان والزهري والإيدز (نقص المناعة)، وأخطار نفسية وخلقية مثل مرض الشذوذ الجنسي (كما حدث في الغرب عندما استشرى هذا المرض)، ومن أخطار الزنا الخلقية في المجتمعات الإنسانية ما لخصته مقولتان: إحداهما لخروتشوف الروسي سنة 1962 عندما قال: «إن مستقبل روسيا في خطر؛ لأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها؛ لأنه مائع منحل غارق في الشهوات»، وفي نفس السنة قال كيندي الأمريكي: «إن مستقبل أمريكا في خطر؛ لأن شبابها مائع غارق في الشهوات، لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، وأن من بين كل سبعة شباب يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين؛ لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية».

وقد سرت عدوى هذه الموجات الإباحية الموجودة في المجتمعات الغربية والشرقية إلى بلادنا وللآسف، حتى أصبحنا نسمع عن كثير من أماكن الزنا وأندية القمار وأوكار الخمور والحشيش وصالات العري والرقص منتشرة هنا وهناك، بل إن هناك بيوتًا تمارس فيها

حفلات تبادل الزوجات، وكل ذلك تحت سمع وبصر المسئولين ورجال الأمن في كثير من البلاد الإسلامية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهناك **خطر اجتماعي** يمثل تهديدًا للأسرة بالزوال؛ لأن الشباب في الغرب حين يشبع نزوته الحرام لا يريد أن يتحمل مسئولية إنشاء أسرة وإنجاب أولاد، وهو ما رأيناه يتحقق في الغرب، ويتمثل في مظالم يقع فيها الأولاد الذين لا يعرفون من هم آباؤهم، وينشئون في أسرة لا أب فيها، وهذا يؤدي إلى أن تتعقد نفسية هؤلاء الأولاد وينحرفوا سلوكيًّا، كما يتمثل في شقاء النساء اللائي لا يجدن الحياة الأسرية المستقرة مع كثرة علاقات الأزواج خارج الزواج، بل إن الأدهى أنه أدى إلى شقاء الرجال الذين لا يعلمون هل أولادهم من أصلابهم أو من أصلاب رجال آخرين.

وهناك **أخطار اقتصادية** تتمثل في ضعف قوى الشباب المنتج وانتشار الأمراض فيهم مما يؤدي إلى قلة الإنتاج، ويسعى الشباب -بل والفتيات- لطرق الكسب غير المشروع سواء في تجارة المخدرات أو في تجارة الجنس لأن مكسبها كبير، وهناك أيضًا **الخطر الديني**؛ لأن الزنا يصيب الزناة بأربع خصال ذميمة عددها النبي ﷺ عندما قال: «**إياكم والزنا؛ فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء في الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن، ويسبب الخلود في النار**» (رواه الطبراني).

هذه أهم الأخطار التي تنجم عن الزنا وارتكاب الفاحشة: أخطار تضر بالصحة والأخلاق، وتضر بالنفس والعقل، وتضر بالدين والأسرة والمجتمع، وتضر بالاقتصاد وتسبب شقاء الرجال والنساء، وعندما يُحذّر الولد من هذه الأخطار ويُبصّر بهذه الأضرار فإنه ينشأ على الإحصان والعفاف ويبتعد عن الفواحش والحرام.

3- **وسيلة الربط**: وهي ارتباط الولد بروابط اعتقادية وروحية وفكرية وتاريخية ورياضية منذ سن التعقل والتمييز إلى أن يتدرج يافعًا ويترعرع شابًّا، وهل من ارتباط أعظم من ارتباط العقيدة والفكر، وهل من صحبة أفضل من صحبة مرشد رباني ورفيق صالح، وهل من سلوك أسمى من سلوكيات الأنبياء والسلف الصالح، ولذلك فما **على الأبوين إلا أن يربطا الولد بالعقيدة والعبادة ويربطاه بمرشد صالح وصحبة ذات دين**، وأن يربطاه بالدعوة الإسلامية وبالمسجد وبالقرآن الكريم، وأن يربطاه بتاريخ الإسلام الناصع

وبطولات المسلمين الخالدة، ولا يربطاه بالغرب وحضارة الغرب وثقافة الغرب كما نرى في المدارس الأجنبية.

4-**تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ**:

ومن المسئوليات الكبرى على الآباء والأمهات تعليم الولد منذ أن يميز الأحكام الشرعية التي تتعلق بنضجه الجنسي، والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعًا، ومسئولين عن عملهما أمام الله -سبحانه وتعالى؛ لذا يجب على الأب أن يصارح الصبي إذا بلغ سن المراهقة (12-15سنة) أنه إذا نزل منه مني ذو دفق وتصاحبه شهوة أنه أصبح مكلفًا بالغًا، يجب عليه ما يجب على الرجال من مسئوليات وتكاليف، وتصارح الأم ابنتها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلامًا (في المنام) ورأت الماء الرقيق الأصفر في ثوبها بعد الاستيقاظ أصبحت بالغة ومكلفة شرعًا، يجب عليها ما يجب على النساء الكبار في الزي والتكاليف، أو إذا رأت دم الحيض تكون قد بلغت كذلك.

فالإسلام يُحمّل الأبوين مسئولية مصارحة الأولاد والبنات في هذه الأمور المهمة، حتى يكونوا على وعي كامل وفهم عميق لكل ما يتصل بحياتهم الجنسية، وكم سمعنا عن بنات بقين سنين يصلين وهن غير طاهرات لكونهن لا يعلمن ماذا يترتب على الجنابة والحيض من أحكام، وكم سمعنا عن شباب يعيشون في جنابة دائمة بعد البلوغ إلى أن وجدوا من يرشدهم إلى ما يترتب على الاحتلام من أحكام، ولا شك أن الأبوين أولًا مسئولان عن تعليمه هذه الأحكام، ثم تأتي مسئولية المجتمع بعد ذلك سواء في المدرسة أو الدروس المسجدية أو وسائل الإعلام، ومن أهم الأحكام التي يجب أن يتعلمها الولد ما يلي:

- الولد إذا تذكر احتلامًا ولم يجد على ثوبه بعد الاستيقاظ بللًا فلا يجب عليه الغسل، أما إذا رأى على ثوبه بللًا حتى ولو لم يذكر احتلامًا وجب عليه الغسل، ونزول المني من الرجل أو المرأة على سبيل الدفق وبشهوة، سواء بالعادة السرية أو عند مشاهدة ما هو مثير - يوجب الغسل.
- غيبة رأس الذكر في دبر أو قبل فعلى الفاعل والمفعول به الغسل سواء أنزل أم لم ينزل.

5-**الزواج وأحكامه**:

الله -سبحانه وتعالى- خلق الإنسان وأودع فيه ميولًا وغرائز كلها ضرورية لحفظ جنسه وبقاء نوعه، وأنزل من التشريعات والأحكام ما يلبي هذه الاحتياجات، وما الزواج الذي شرعه الإسلام - من أيام آدم عليه السلام - إلا تلبية لغريزة الميل إلى الجنس الآخر، وعلى الأبوين أن يوعيا أولادهما بنظرة الإسلام إلى الجنس، ولماذا شرع الله الزواج ليحصنهم من كل الدعاوى التي يروجها الذي يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، والذي يدّعون نبل الغاية في التعليم الجنسي رغم أن الهدف هو إشاعة الجنس عبر الوصول إلى الجنس الآمن - الذي لا يؤدي إلى حمل- ولا بد من التوعية والمصارحة والصداقة بين الأب وابنه والأم وابنتها حتى يصلا إلى الوعي الكامل بما يراد بالبلاد الإسلامية من سوء، وبما يراد بالجيل الجديد من التعود على المحرمات.

5-1 **نظرة الإسلام إلى الجنس**:

قائمة على إدراك فطرة الإنسان، وتوفير سبيل حلال لإشباعها، ولذلك فالإسلام حرم العزوف عن الزواج والرهبانية بحجة التفرغ للعبادة، ورغّب بشدة في النكاح لقوله ﷺ: «**من كان موسرًا لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني**» (رواه الطبراني).

ومن نظرات الإسلام الصائبة إلى الجنس اعتبار أن تصريف الشهوة بالحلال مع الزوج من الأعمال الصالحة التي يستحق صاحبها الأجر والثواب، قال رسول الله ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟، قال: **أرايتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟** قالوا: بلى، قال: **فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر**» (رواه مسلم).

ولكن من الأمور التي يجب أن يعلمها الأزواج أنه ليس معنى أن لهم في الجماع أجرًا أن يميلوا ميلًا كاملًا إلى إشباع الشهوة وقضاء الوطر والتقلب في مضاجعة الزوجات، بحيث يقطعهم ذلك عن واجبات دعوية ومهمات جهادية في سبيل الله، وأعمال دنيوية في سبيل وطنهم وأسرتهم؛ لأن الرسول الكريم ﷺ علّمنا أن نعطي لكل ذي حق حقه، إذ قال: «**إن لبدنك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لربك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقه**» (رواه الترمذي)، وقد جاء في السيرة أن عبد الله بن أبي بكر تزوج عاتكة بنت زيد وكانت

حسناء جميلة ذات خلق عالٍ وأدب رفيع فشغلته عن مغازيه وجهاده، فأمره أبوه الصديق بطلاقها وقال معللًا: إنها شغلتك عن مغازيك، فطلقها، فمر به أبوه وهو ينشد:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير ذنب تطلق

لها خلق جزل ورأي ومنصب على كبر مني وإني لومق (لمحب)

فرق له أبوه فأمره أن يراجعها، فراجعها، ثم شهد مع النبي ﷺ غزوة الطائف فأصابه سهم فمات بعدها في المدينة، رضي الله عنه وعن أبيه.

لماذا شرع الله الزواج؟

الزواج مصلحة اجتماعية، وأهم الفوائد التي يجنيها المتزوج هي:

- **المحافظة على سلامة الإنسان وسلامة المجتمع من الانحلال الخلقي**، يقول النبي ﷺ «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة** (القدرة المالية على الزواج) **فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**» (رواه الجماعة)، ومن الفوائد سلامة المجتمع من الأمراض والآفات وإنجاب ذرية الإسلام الصالحة وتعاون الأبوين في تنشئتها، قال رسول الله ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**» (رواه عبد الرزاق والبيهقي).
- ولذلك ينبغي على الآباء الميسورين المساهمة مساهمة فعالة في **تسهيل أسباب الزواج** لأولادهم لإنقاذهم من الهواجس النفسية والتأملات الجنسية، ولا يتأتى ذلك إلا بتيسير أسباب الزواج من ناحية وإمداده بالنفقة من ناحية أخرى، حتى يستطيع أن يقف على قدميه، ولماذا يبخل الأب الميسور على ولده؟ ولماذا لا ييسر له طريق الزواج؟ هل سيخلد في الحياة؟أم هل سيأخذ ماله معه إلى الآخرة؟

5- «**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا**»:

فماذا يفعل الشباب إذا رغبوا في الزواج والمال غير متيسر لهم، أنهم يريدون أن يعصموا أنفسهم بالزواج ولكنهم لا يجدون إليه سبيلًا، ولذلك فلا بد **أولًا** من نصح الآباء أن ييسروا الزواج على من يريد أن يتزوج بناتهم، ولا يبالغوا في الطلبات المادية، بل على العكس يجب أن يتعاون أبو الزوجة مع أبي الزوج في توفير وتأثيث عش الزوجية، وليعلم كل أب يريد

تزويج بناته أن أكثرهن بركة هن أقلهن مهورًا كما قال الصادق المصدوق، وثانيا: هو أن يستجيبوا إلى دعوة القرآن الكريم إلى التمسك بحبل الإعفاف: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ**﴾.

ولكن ما هو المنهج الذي وضعه الإسلام لوصول الشاب إلى العفة والتسامي؟ يتمثل هذا المنهج في الآتي:

1- الزواج في سن مبكرة.
2- الاستمرار في صوم النفل.
3- الابتعاد عن المثيرات الجنسية.
4- ملء الفراغ بما ينفع.
5- الرفقة الصالحة.
6- الأخذ بالتعاليم الطبية.
7- استشعار خوف الله تعالى.
8- أن يجعل المجتمع الزواج أيسر شيء وأسهله والزنا أصعب شيء وأعسره.
9- غض البصر عن المحرمات.
10- تقوية الوازع الديني عند المراهقين والمراهقات.

وهناك **نموذجان عظيمان** من العفة والتسامي للتأسى بهما، **الأول**: يوسف عليه السلام، شاب في ريعان الشباب، دعته امرأة ذات منصب وجمال، والأبواب مغلقة والسبل ميسرة، فماذا كان موقفه؟ لقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها وبكل ما لديها من ألوان الإغراء أن تذيب من صلابته، وأعلنت ذلك صراحة للنسوة في ضيق وغيظ: ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ [يوسف: 32]، ولكن الشاب يوسف -عليه السلام- اتجه بكليته إلى الله يسأله المعونة والعصمة ولو بالذهاب إلى السجن وقد كان، **والثاني**: امرأة في عهد عمر بن الخطاب ذهب زوجها إلى الجهاد وغاب عنها كثيرًا فثارت في عروقها الأنوثة، ولم يصدها عن ارتكاب المحرم إلا خشية الله ومراقبته وسمعها عمر تنشد:

لقد طال هذا الليل وأسود جانبه وأرّقني إلا حبيب ألاعبه

فـو الله لـولا الله تُخشـى عواقبـه — لَحُـرّك مـن هـذا السـرير جوانبـه

فذهب عمر مسرعًا إلى ابنته حفصة أم المؤمنين وسألها ومن عندها من النساء: «ما تصبر الزوجة على زوجها إذا غاب؟» قالت: «أربعة أشهر»، فانظر كيف يسعى الحاكم إلى سد أبواب الفتن، وانظر إلى ملايين الآباء المصريين الذي يغيبون عن زوجاتهم وأبنائهم أحد عشر شهرًا في السنة وذلك للعمل في المملكة السعودية ودول الخليج.

هذه أهم بنود **المنهج ليصل الشاب إلى العفة والتسامي**، وهي ليست من الكبت في شيء -كما يتوهم البعض- لأن الكبت هو شعور نفسي بالرغبة في شيء دون القدرة على بلوغه، ولكن الشاب يدفعه إلى العفة شعور نفسي أقوى هو مراقبة الله، ويسعى في الوقت نفسه للزواج لإشباع رغبته، وقد حثه رسول الله ﷺعلى ذلك بأن يلتمس الرزق بالنكاح، أي أنه على الشاب أن ينوي الزواج فيرزقه من حيث لا يحتسب، فإن لم يجد فعليه أن يتمسك بالعفة لحين الزواج لكل الفوائد التي ذكرناها سابقًا، ويعتبر أن هذا ابتلاء من الله له، والله دائمًا يبتلي عباده المؤمنين؛ ولذا فالتسامي بالنسبة للشاب الذي لا يستطيع نكاحًا هو أن ينفس عن نفسه بجهد روحي أو قلبي أو جسدي، بحيث يستفيد من هذه القوة المدخرة ويخرج هذه الطاقة المحبوسة، بالالتجاء إلى الله ثم التركيز في العمل أو الإقبال على الرياضة والبطولات، وذلك مع الصوم ليكون لشهوته أملك.

7- هل تجوز مصارحة الأولاد جنسيًّا؟

يجوز للأب أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس وترتبط بالغريزة، بل أحيانًا تكون المصارحة واجبة إذا ترتب عليها حكم شرعي، ولا بد من تعليم الولد وهو في سن التمييز أحكام البلوغ وإرهاصات المراهقة، حتى إذا ظهرت عليه ظواهر البلوغ عرف ما يجب عليه فعله وما يجب تركه، وعندما يبلغ ويقارب دخول عتبة الزواج فلا بد من تعليمه أحكام الزواج وقضايا الجنس بالتفصيل، ولكن بأسلوب القرآن والسنة المشرفة العفيف الطاهرة، ويجب هنا التذكير بأمور مهمة هي:

1- اعطِ لكل مرحلة من المراحل السنية حكمها في التعليم؛ فلا يعقل تعليم الأولاد أصول الاتصال الجنسي وهم دون سن العاشرة، ولكن يجب تعليمه أحكام المراهقة والبلوغ منذ الثانية عشرة.

2- من الأفضل أن تشرف الأم على تعليم البنت في هذه القضايا الجنسية لأن أخذ البنت عن الأم أكثر وأوعى، وتبدأ معها في سن التاسعة لأن بلوغ البنات يكون في سن أصغر من الأولاد.

3- انتشار الحواسب والنت ودخول الأولاد والبنات مواقع أصبحت مجانية أتاح لهم ثقافة جنسية لم تكن متوفرة لآبائهم وهم في مثل سنهم، فلا يتحرج الآباء من الكلام مع أبنائهم ولا الأمهات مع بناتهن، وسيذهلون لكمية المعلومات التي يعرفونها، ولكن المهم هو ضبط البوصلة والإحصان والبعد عن كل ما يغضب الله، ولو تقاعس الأبوان عن الكلام مع أبنائهم فسيحصل الأولاد على المعلومات التي يريدونها ولكن قد تكون مغلوطة أو مبالغ فيها لغرض خبيث، **فلا بد من الكلام في الجنس مع الأولاد لأن الوقاية خير من العلاج.**

هذه أهم **الخطوط الرئيسة التي وضعها الإسلام في تربية الولد جنسيًّا وضبطه غريزيًّا**، فما أحوج الأبوين أن يعرفا منهج الإسلام في التربية الجنسية ويتبعاه، ولا يتبعا سبيل التربية الجنسية في ميثاق الطفل الذي أصدرته الأمم المتحدة، أو سبل التربية الغربية التي تعتمد على فلسفة فرويد التي ترى أن الجنس هو العامل الأول المحرك للبشرية، ولا فلسفة الذين يرون أن الإنسان يجب أن يستمتع بكل ما يستطيع من متع من منطلق: ﴿**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾ [الأنعام: 29]، ولكنَّ المسلمين يعلمون أن هناك حسابًا وبَعثًا بعد الموت، وأن الابتلاء في الدنيا -ومنه الصبر عن الحرام- يثاب عليه المرء في الآخرة.

وليت كل ذي عقل وبصيرة من الآباء والأمهات يدرك أن الإسلام حين عالج مشكلات المراهقة والشباب كان العلاج شاملًا لكل الجوانب، فقد أمر بغض البصر وحرمة الاختلاء بالأجنبية ليقفل باب الفتنة أصلًا، ثم عالج مشكلة الشباب الذين لا يستطيعون نكاحًا، ولا بد أن ينطلق الأبوان في مضمار التربية الجنسية وتحمل المسئولية دون حرج، ولكي تتحقق قمة التربية الفاضلة فلا بد من أمرين، **أولهما**: المراقبة والملاحظة المستمرة، **وثانيهما** الاستفادة من الفراغ، فبالمراقبة والملاحظة المستمرة ينجو الولد من رفقاء السوء، ويتحرر من كل العوامل التي تؤدي إلى انحرافه وشقائه، وأما الاستفادة من الفراغ فتكون ببذل الجهد لكي يوفر الأب الوقت الكافي لأسرته وأولاده، ويضع البرامج للاستفادة من أوقات فراغهم

بالاشتراك معهم، ويهيئ لهم السبل المطلوبة لتحقيق أقصى استفادة من أوقات الفراغ، وليكن أهم جوانب هذا البرنامج هو حفظ كتاب الله والاستماع إلى دروس العلم وقراءة الكتب النافعة.

أما الآباء والأمهات الذين ينكبون على العمل وطلب المال، ويهملون أبناءهم فعليهم وزر كبير إذا ضاع من يعولون، ورحم الله شوقي حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... وهم الحياة وخلفاه ذليلًا

إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أمًّا تخلت أو أبًا مشغولًا

وأما الآباء الذين يسافرون بالسنين للعمل في المملكة العربية السعودية والخليج بدون أسرهم، ولا يرون زوجاتهم ولا أبناءهم إلا شهرًا في كل سنة - أو أقل - هؤلاء أخشى أن ينطبق عليهم قول الرسول الكريم ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**» (رواه الحاكم والنسائي).

وبعد أن فصلنا القول في مسئولية المربي في الإسلام وأن هناك مسئوليات سبعة يجب أن يتعاون الأب والأم عليها، فالآن نركز على مسئولية كل منهما على حدة:

أولًا: مسئولية الأب:

الأب هو المسئول الأول عن الأسرة، ومسئوليته عنها تبدأ قبل تكوينها، فالأب مسئول عن حسن اختيار الزوجة، وهناك عدة قواعد وضعها الإسلام أمام كل من الزوجين في كيفية اختيار الطرف الثاني منها:

1- **الاختيار على أساس الدين:**

والمقصود بالدين: الفهم الصحيح للإسلام، والتطبيق العملي السلوكي لكل فضائله السامية وآدابه الرفيعة، والالتزام الكامل بمناهج الشريعة ومبادئها، وقد أرشد النبي ﷺ راغبي الزواج بأن يظفر بذات الدين، لأنه عندها تقوم الزوجة بواجبها الأكمل من أداء حق الزوج وأداء حق الأولاد وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الإسلام، روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**تنكح المرأة الأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**».

وبالمقابل أرشد النبي ﷺ أهل المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة وأداء حقوق الزوجية وتربية الأولاد والقوامة الصحيحة، فقد روى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»، وأي فتنة أعظم على الدين من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن زوج متحلل أو زوج إباحي فاجر، ولا شك أن الأولاد الذين ينشئون في بيت ماجن آثم فإنهم سينشئون على الانحراف والإباحية؛ ولذلك فاختيار الزوج أو الزوجة على أساس الدين والخلق القويم من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما وللأولاد البيئة الصالحة وللمجتمع كله الاستقرار والنماء.

2- **الاختيار على أساس الأصل والشرف**:

ومن القواعد التي وضعها الإسلام كذلك في اختيار أحد الزوجين للآخر أن يكون الانتقاء من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والتقوى وأصالة الشرف، وقد نوه النبي ﷺ أن الناس معادن، وأنهم يتفاوتون في الوضاعة والشرف حيث قال: «**الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**» (متفق عليه)، وقد حذر النبي ﷺ الرجل من أن لا يكون انتقاؤه على أساس الأصالة والشرف والصلاح فقال ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**» (رواه ابن ماجه).

فالزواج زواج بين أسرتين، وليس بين رجل وامرأة فقط، والحكمة في التشديد على الاختيار على أساس الأصل والشرف هو أن ينجب الرجل أولادًا مفطورين على معالي الأمور، يطبعهم أجدادهم على العادات الأصيلة والأخلاق القويمة ويرضعون من جداتهم لبان المكارم والفضائل، وانطلاقًا من هذا المبدأ أوصى عثمان بن أبي العاص أولاده في تخير النطف وتجنب عرق السوء: «يا بني الناكح مغترس فلينظر المرء حيث يضع غرسه، والعرق السوء قلما ينجب، فتخيروا ولو بعد حين»، وأجاب عمر بن الخطاب عندما سُئل ما حق الولد على أبيه قال: «أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه القرآن».

وقد أثبت العلم الحديث بُعد نظر الرسول وإعجاز الوحي الذي يأتيه من السماء، فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والعقلية وليس الجسمية فقط، فلا بد على الأب أن يرشد ابنه إلى حسن اختيار زوجته وأن يشترك معه في اختيار العائلات التي يمكن أن يناسبها.

3- **الاغتراب في الزواج**:

ومن توجيهات الإسلام في الزواج تفضيل المرأة غير القريبة على ذوات القرابة؛ حرصًا على نجابة الولد، وضمانًا لسلامة جسده من الأمراض الوراثية، وتوسيعًا لدائرة التعارف الأسرية، فبهذا تزداد أجسام المسلمين قوة، ووحدتهم تماسكًا، وتعارفهم سعة وانتشارًا، فلا يجب أن تقصر العائلات الزواج على العائلة نفسها، وفي هذا قول السلف: **«لا تنكحوا القرابة؛ فإن الولد يخلق ضاويًا»** (نحيفًا بليد الذكاء)، وقولهم: «**اغتربوا ولا تضووا**».

4- **تفضيل ذوات الأبكار**:

ومن توجيهات الإسلام الرشيدة في اختيار الزوجة تفضيل المرأة البكر، ولهذا فوائد منها: حماية الأسرة مما ينغص عيشها من الطليق السابق ويوقعها في حبائل الخصومات، وفي الوقت نفسه تمتين لأواصر المحبة الزوجية لكون البكر مجبولة على الأنس والألفة بأول إنسان تكون في عصمته، بعكس الثيب التي قد لا تجد في الزواج الثاني الألفة التامة والمحبة الخالصة، وقد أوضحت السيدة عائشة مميزات البكر لرسول الله ﷺ؛ لكونها أول بكر يتزوج بها فقالت: «يا رسول الله أرايت إن نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها وشجرة لم يؤكل منها، في أي منها كنت ترتع بعيرك؟ قال ﷺ: في التي لم يرتع منها، قالت: فأنا هي» (رواه البخاري). وأشار (عليه الصلاة والسلام) لجابر أن الزواج بالبكر يزيد المحبة ويقوي جانب الإحصان والعفة، فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال لجابر- وهو راجع من غزوة ذات الرقاع - يا جابر هل تزوجت بعد؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: أثيبًا أم بكرًا؟ قال جابر: بل ثيب قال ﷺ أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ قال: يا رسول الله: إن أبي أصيب بأحد، وترك لنا بنات سبعًا، فنكحت امرأة تجمع رءوسهن وتقوم عليهن، قال: أصبت إن شاء الله (رواه الشيخان)، وبذلك يكون الزواج من الثيب أفضل من البكر في بعض الحالات ولكن الأصل أن البكر أفضل.

5- **تفضيل الزوج بالمرأة الولود**:

ومن توجيهات الإسلام في اختيار الزوجة انتقاء المرأة الولود، وتعرف بشيئين: سلامة جسمها من الأمراض التي تمنح الحمل، والنظر في حال أمها وأخواتها المتزوجات، ومن المعلوم طبعًا أن المرأة حين تكون من الصنف الولود تكون في الغالب في صحة جيدة وجسم

قوي سليم، والتي تتوافر فيها هذه الصفات تستطيع أن تقوم بواجباتها الزوجية وأعبائها المنزلية على خير وجه، ولا يخفى ما في الزواج من المرأة الولود من تكثير للمسلمين طبقًا لوصية الرسول ﷺ، ولو تأملت حال الفلسطينيين في الأراضي المحتلة (الذين يطلق عليهم عرب 48) وجدت أن عددهم آخذ في الزيادة بالنسبة لليهود، حتى أنهم سيصلون إلى نصف سكان إسرائيل في عقدين أو نحو ذلك؛ مما سيؤدي إلى خلل كبير في دولة يريدون من العرب الاعتراف بيهوديتها، كما أن المغتربين في أوربا يزداد عددهم باستمرار زيادة كبيرة لأن متوسط إنجابهم سبعة أو ثمانية أولاد ومتوسط إنجاب الألمان أو الفرنسيين (1، 2) لكل أسرة؛ مما جعل رئيسًا فرنسيًا سابقًا -وقد احتج عنده علماء المسلمين على منع المسلمة من لبس الحجاب على أساس أنه رمز ديني- يقول لهم: «نحن الآن أغلبية في فرنسا نسن ما نشاء من قوانين، وبعد ثلاثين سنة ستكونون أغلبية، فافعلوا وقتها ما تشاءون»، فإن شاء الله تفتح روما كما تنبأ رسول الله ﷺ دون حرب، وذلك عندما يزيد عدد المسلمين في إيطاليا عن النصف، وكل هذه الفتوحات سببها التكاثر والتناسل، ألا فليتذكر أولو الألباب، وليفهم العلمانيون والملحدون الذين يريدون تحديد نسل المسلمين ولا يفهمون أهمية النسل في ظروف كثيرة.

هذه أهم مبادئ الزواج، وأهم ارتباطاته بقضايا التربية وتلك مسئولية الزوج في اختيار زوجته والزوجة في اختيار زوجها، فالإسلام يعالج تربية الأفراد منذ تكوين الخلية الأولى للأسرة، ويعالج صحة المجتمع من اللبنة الأولى من لبناته وهي الأسرة؛ لأنها لو صلحت صلح بناء المجتمع كله.

ثانيا: الاتفاق على الرؤية والمهمة مع زوجته:

كما أوضحنا في العادة الثانية من المهم جدًّا أن تبدأ أسرتك والغاية واضحة في ذهنك وذكرنا في العادة الثالثة أن بيان مهمة الأسرة الذي يحدد غايتها وأهدافها وما يطمح أفراد الأسرة لتحقيقه هو الذي يجعل تضع أسرتك على رأس أولوياتك، وعلى هذا يكون ترتيب إنشاء أسرة جديدة على النحو التالي:

1- عندما يعزم الشاب على الزواج وينوي نية صادقة فإنه يبدأ في البحث عن ربة الصون والعفاف بين كريمات الأسرة الأصيلة العريقة، وكذلك الفتاة التي بلغت

سن الزواج يبدأ وليها في البحث عن من يصلح زوجًا لابنته، فإذا التقى المتكافئان واتفقا على الزواج لا بد أن يتفقا أولًا على الغاية.

2- وهذا الاتفاق يجب أن يكون في وضوح كامل، فإذا كان الخاطب من النوع الذي يضع دعوته في المقام الأول - قبل عمله وتدرجه الوظيفي- ويضع رضا الله عز وجل قبل تكوين الثروة فلا بد أن يصارح من تقدم لخطبتها بذلك، فإن وجد فيها ميلًا لأن تكون غايتها أيضًا هي رضا الله عز وجل والرغبة في الآخرة عن الأولى، فسوف يتفقان على الغاية ويبدآن الأسرة بغاية واضحة لا لبس فيها.

3- ثم يجلس الاثنان بمجرد إتمام الزواج؛ ليكتبا بيان مهمة لاثنين، أي مهمة الأسرة التي تتكون منهما معًا، وذلك كما وضحنا في الفصل الثالث، وهذا البيان من المهم أن يحتفظا به مكتوبًا ليكون لهما إمامًا ودليلًا وبوصلة تعينهما على الطيران في الأجواء العاصفة، وترجعهما إلى الطريق المستقيم كلما انحرفا عنه، ولو انحرافًا بسيطًا، ويستحسن أن يكتبا في بيان مهمة الأسرة كل ما يتمنى كل منهما أن تكون الأسرة عليه، ولا يبخلا بالوقت لإنضاج هذا البيان حتى يصبح كالحلم الذي يسعى كل منهما لتحقيقه.

4- وبذلك يكون الزوجان **قد اتفقا على الرؤية والمهمة**، وبذلك تصبح **فرصة نجاح الأسرة فرصة كبيرة**، وبالذات بمراجعة بيان مهمة الأسرة كل خمس عشرة سنة، بحيث يضيفان إليه رؤية الأولاد البالغين، ومساهمتهم الفكرية في تعديل بيان مهمة الأسرة، وكذلك تقوم الأسرة كلها بتعديل المهمة إلى مهمة للأسرة الأكبر بعد وصول الأحفاد، أي يشترك الأجيال الثلاثة الأب والأم وأبناؤهما وأحفادهما في وضع بيان مهمة للأسرة الأكبر - إن كان في عمر الجدين بقية.

ثالثًا: الرحمة بالأولاد ومحبتهم:

وهو ما أودعه الله سبحانه وتعالى في قلوب الأبوين من حب وعاطفة ورحمة نحو أولادهما، **فالأبوان مفطوران على محبة أولادهما.**

و من المعلوم بداهة أن قلب الأبوين مفطور على محبة الولد، والمشاعر الأبوية قوية في حمايته والرحمة به والاهتمام بأمره، ولذلك فدعوة كوفي للحب غير المشروط [2] دعوة لا تجد

صدى في نفس الآباء والأمهات المسلمين؛ لأن ما في قلوبهما ناحية أولادهما أكبر كثيرًا من الجسد غير المشروط الذي يدعو إليه، في قلوبهما تضحية لا حدود لها، ولا عجب أن يصور القرآن هذه المشاعر في آيات كثيرة، منها:

﴿**الْـمَالُ والْبَنُـونَ زِينَـةُ الْـحَيَاةِ الـدُّنْيَا**﴾ [الكهف: 46]، وهم قرة أعين لوالديهم إن كانوا سالكين سبيل المتقين: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾[الفرقان: 74].

فلا شك في محبة الوالدين لأولادها ولكن العكس هو الذي فيه شك، وهو الذي يجب أن يسعى علماء الاجتماع في الغرب أن يستعيدوه: وهو بر الوالدين، والحمد لله على نعمة الإسلام.

3-1 الرحمة بالأولاد منحة من الله للعباد:

ومن المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلب الأبوين شعور الرحمة بالأولاد والرأفة بهم والحب لهم، ولذلك رسّخت شريعتنا الإسلامية في القلوب خلق الرحمة، وحضت الكبار من آباء ومعلمين على التحلي بها، واهتمام الرسول ﷺ بها يدل عليه قوله:

«**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا**» (رواه أبو داود)، وروى البخاري عن أبي هريرة أنه قال: «أتى النبي ﷺ رجل ومعه صبي، فجعل يضمه إليه، فقال النبي ﷺ: «**أترحمه؟** قال: نعم، قال: **فالله أرحم بك منك به، وهو أرحم الراحمين**».

3-2 كراهية البنات جاهلية بغيضة:

فالإسلام يدعو إلى المساواة المطلقة والعدل الشامل بين الأبناء، ولم يفرق بين ذكر وأنثي، قال الرسول ﷺ: «**اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم**» (رواه أصحاب السنن)، وإذا وجد في المجتمع المسلم من يفرق بين الأنثى والذكر فهي أعرافٌ ما أنزل الله بها من سلطان؛ بل الله ذم فاعلها بشدة إذ قال: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أحدهم بِالأُنْثَى ظَلَّ وجهة مُسْوَدًّا وهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا ساءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [النحل: 58، 59].

ومن طرائف ما يروى أن أميرًا من العرب يكنى بأبي حمزة تزوج امرأة وطمع أن تلده غلامًا، فولدت بنتا، فهجر منزلها وصار يأوي إلى بيت من بيوت زوجاته غير بيتها، فمر بخبائها بعد عام وإذا هي تداعب ابنتها بأبيات من الشعر وتقول:

ما بال أبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلد البنينا ... تالله ما ذلك بأيدينا

وإنما نحن كالأرض للزارعينا ... نحصد ما قد زرعوه فينا

فغدا الرجل حتى دخل بيتها بعد أن أعطته درسًا في الإيمان والرضا وثبات اليقين، وقبل رأس امرأته وابنتها ورضى بعطاء الله له.

بل إن الرسول ﷺ له توجيهات نبوية قوية وبشريات عظيمة لمن اعتنى ببناته واهتم بتربيتهن، قال ﷺ: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين**». وأشار بأصابعه بعد ضمها. (رواه مسلم)، وقال ﷺ: «**من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن وسقاهن وكساهن من جدته (أي ماله) كن له حجابًا من النار**». (رواه أحمد)، وقال ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن وصبر عليهن واتقى الله فيهن دخل الجنة**». (رواه الحميدي).

3-3 **تغليب مصلحة الإسلام على حب الولد**:

وإذا كان قلب الأبوين ينطوي على مثل تلك المشاعر الصادقة من الحب والرحمة والحنان نحو الأولاد، فينبغي ألا تطغى هذه المشاعر على الجهاد في سبيل الله، وتبليغ دعوة الله للناس، هكذا فهم الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان، فلم يعرفوا التقاعد عن الجهاد وتبليغ الدعوة بحجة رعاية الأولاد، ومن المآثر الكريمة التي تناقلتها الألسن عن الإمام حسن البنا أنه كان من عادته أن يتفقد شباب الدعوة في النواحي والقرى في كل عيد في الأعياد، وفي مرة من المرات التي كان يخرج فيها مرض ولده سيف الإسلام مرضًا شديدًا أشرف فيه على الموت، فقالت له زوجته: لو بقيت معنا هذا العيد نستأنس بك وتكون بجانب ولدك المريض، فأجابها وبيده حقيبة السفر: إن مَنّ الله على ولدى بالشفاء فلله الحمد والمنة، وإن قدر الله عليه الموت فإن جده أعرف بطريق المقابر مني، أستودعكم

الله وسافر، والحمد لله الأستاذ سيف الإسلام حسن البنا شفي، وأصبح ملء السمع والبصر، أصبح أمينًا عامًّا لنقابة المحامين في مصر في التسعينيات، رحمة الله عليه وعلى والده.

أيها الأب المؤمن، يجب أن يكون حب الدعوة والجهاد للإسلام مسيطرًا على قلبك وجوارحك ومقدمًا على حب أهلك وولدك وعشيرتك، وهذا هو التوجيه الإلهي للمؤمنين في سورة التوبة إذ يقول تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إليكُم مِّنَ الله ورَسُولِهِ وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: 24].

3-4 عقوبة الولد وهجره لمصلحة تربوية:

ما دام الولد صغيرًا يعيش في كنف أبويه، وما دام في سن التعليم والتربية، فيجدر بالأبوين ألا يتركا وسيلة من وسائل الإصلاح إلا سلكاها، ولا طريقة لتقوية الاعوجاج إلا نهجاها، حتى ينشأ الولد على الخلق الإسلامي الكامل والأدب الاجتماعي الرفيع، وخاصة في هذا الزمن حيث لا تقوم المدرسة بدورها في التربية، وحيث لا يقدّم المجتمع القدوة الصالح من العلماء والفقهاء والأبطال، وإنما صار اللاعبون والفنانون هم من يقتدى بهم.

والإسلام له طرقه المتنوعة في إصلاح الولد وتربيته، فإن كان ينفع مع الولد الملاطفة بالوعظ فلا يجوز للوالدين أن يلجئا إلى الهجر، وإن كان ينفع الهجر أو الزجر فلا يجوز أن يلجئا إلى الضرب، وإذا عجزت وسائل الملاطفة والوعظ فلا بأس من أن يلجئا إلى الضرب غير المبرح، وهذه المراحل مستقاة من سنة النبي ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد قال: «نهى رسول الله عن الخذف (رمي الحصى على الغير) وقال: «إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو وأنه يفقأ العين ويكسر السن». فنهى أبو سعيد ابنه عن الخذف، فامتثل ثم عاد، فقال له: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف لا أكلمك أبدًا (وهذا هو الهجر).

والغرب ملئوا الدينا صياحًا أنه لا يجب أن يستخدم الضرب في المدارس، ولكنه أحيانًا ضروري، وقد نص عليه حديث رسول الله ﷺ الذي تقدم: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**» (رواه أبو داود).

أما إن بلغ سن الشباب وتدرج نحو الكبر فلا بد أن تصاحبه، وتختلف طريقة الإصلاح عما كان قبل أن يبلغ أربعة عشر عامًا، فعليك أن تلجأ إلى الهجر ما دام مصرًّا على فسقه وفجوره، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ هجر بعض نسائه شهرًا؛ زجرًا وتأديبًا، وحين كلم نوح ربه في نجاة ابنه كما وعده بإنقاذ أهله معه أجابه الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أني أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: 46].

هذه إذن هي مسئولية الأب في اختيار الأم لأولاده، ثم تربيتهم وانتهاج كل الأساليب لتقويم أخلاقهم، وتبقى مسألة التربية بالقدوة وسنفرد لها جزءًا خاصًّا، وأما مسئولية الأم فتبدأ كذلك باختيار الزوج الصالح، ولا ترفض من يتقدم لخطبتها إذا كان فقيرًا مادام صالحًا.

رابعًا: مسئولية الأم:

الأم كما ذكرنا مسئوليتها عن الأسرة تبدأ عند رفض من يتقدم لها -إذا كان ذا دين- لفقره، وعليها أن تقدم مصلحة دينها على النواحي المادية، وهي إن اختارت من ترضى دينه فإن ذلك سيكون لمصلحتها أولًا؛ لأنه إذا أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، ثم بعد اختيار الزوج تبدأ حياتها بالاتفاق معه على الغاية من إنشاء هذه الأسرة الجديدة وهذه اللبنة في لبنات المجتمع، وصدق الإمام البنا عندما ذكر أن العمل لدين الله وتمكينه في الأرض يمر بسبع مراحل، أول أربعة منها، هي:

1- الفرد المسلم. 2- الأسرة المسلمة.

3- المجتمع المسلم. 4-الدولة المسلمة.

أي أن تكوين أسر مسلمة شرط أساسي لاستكمال البناء للوصول إلى المجتمع المسلم ثم الدولة المسلمة التي تمكن لدين الله في الأرض.

وفي هذه الأوقات العصيبة يجتهد الأب ليوفر لأسرته العيش الكريم فيضطر أن يعمل أكثر من عمل، لأن مرتب العمل الواحد لن يكفيه، ولذلك فهو يرجع إلى بيته متعبًا يريد أن تستريح كي يواصل الجهاد في اليوم التالي، ولذلك نجد أن مسئولية تربية الأولاد - وبالذات حتى سن العاشرة - يقع أغلبها على الأم، ولا بد من إعدادها للقيام بهذا الدور كما قال حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ومن العوامل الرئيسة التي تؤدي إلى انحراف الولد وفساد خلقه وانحلال شخصيته تخلي الأبوين عن إصلاحه وانشغالهما عن توجيهه وتربيته، ودور الأم في حمل هذه الأمانة لا يقل عن دور الأب إن لم يكن أعظم وأهم وأخطر، باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة وإلى أن يشب ويترعرع، والرسول ﷺ يؤكد على دورها في ذلك فيقول: «والأم راعية في بيت زوجها ومسئولية عن رعيتها»، وما هذا إلا لإشعارها بأهمية دورها في إعداد الجيل وتربية الأبناء.

فالأم تحمل المسئولية كالأب سواء بسواء، بل إن مسئوليتها أهم وأخطر، لأنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب، ولأن الآباء مشغولون بلقمة العيش، لذلك فعبء التربية أغلبه – غالبًا – يقع على الأم، وفى كثير من الأحيان يسافر الأب لتحسين دخله إلى أي بلد عربى، ولا يعود لأسرته إلا شهرًا في السنة، ولذلك يكون العبء كبيرًا على الأم في التربية، والرسول الكريم ﷺ أفرد الأم بتحمل المسئولية حين قال: «**والأم راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**»، لإشعارها بضرورة تعاونها مع الأب في إعداد الجيل وتربية الأبناء، وإذا قصّرت الأم في الواجب التربوى نحو أولادها لانشغالها مع معارفها وصديقاتها واستقبال ضيوفها -كما تفعل كثير من الأمهات في دول الخليج – ويتركن رعاية أولادهن لمربيات فلبينيات وقد يكن غير مسلمات فسوف يحاسبهن الله حسابًا عسيرًا، وإذا أهمل الأب مسئولية التوجيه والتربية نحو أولاده، لانصرافه إلى اللهو وارتياد المقاهي ومشاهدة مباريات الكرة، أو أسوأ من ذلك ارتياد جلسات الكيف والمخدرات، فلا شك أن الأولاد سينشئون نشأة اليتامى ويعيشون عيشة المشردين.

والإسلام في دعوته إلى تحمل المسئوليات حمل الآباء والأمهات مسئولية كبرى في تربية الأبناء، وإعدادهم الإعداد الكامل لحمل أعباء الحياة، وهددهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرطوا وقصروا، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:6]، وللرسول الكريم توجيهات كثيرة في ضرورة العناية بالأولاد؛ حيث قال ﷺ: «**أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم**» (رواه ابن ماجه، وقد قال الألباني عنه: ضعيف)، وقال ابن

عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**مروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فذلك وقاية لهم من النار**».

4-1 التربية بالملاحظة:

فما معنى أن الأم مسئولة؟ وما معنى أن الأب مسئول؟ أليس معنى هذا أن يلحظ الأبوان ولدهما ويلاحقاه ويراقباه ويراقبا حركاته وسكناته، حتى إذا أهمل حقًّا أرشداه إليه، وإذا قصّر في واجب حضّاه عليه، ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن ملاحظة الوالدين ولدهما ومراقبته أفضل أسس التربية وأظهرها، حيث يكون الولد دائمًا موضوعًا تحت مجهر الملاحظة والملازمة، وحيث يرصد الأبوان - وبالذات الأم - عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله، فإن رأيا خيرًا شجعاه وكافئاه، وأن رأيا شرًّا نهياه عنه وحذراه منه، وبيّنا له عواقبه الوخيمة، وبمجرد أن يغفل الأبوان أو يتغافلا عن الولد فإنه قد ينزع إلى الانحراف ويتوجه نحو الزيغ والانحلال؛ لأن الجواذب كثيرة والمغريات قوية.

ومعلمنا الأول وهادينا الأكرم ﷺ أعطى لأمته القدوة الصالحة في حسن رعايته لأصحابه وتفقده لهم وسؤاله عنهم ومراقبته أحوالهم، فقد رأى رسول الله ﷺ خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**»، فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك وانتفع به، قال: لا، والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ. (رواه مسلم عن ابن عباس)، وقد ذكر رجل عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا، فقال النبي ﷺ: «**ويحك قطعت عنق صاحبك**» يقولها مرارًا، ثم قال: « إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك، وحسيبه الله، ولا يزكى على الله أحدًا» (رواه الشيخان).

4-2 ملاحظته ﷺ للنساء واهتمامه بهن:

وقد اهتم الرسول الكريم بالرفع من مستوى النساء وإعطائهن حقوقهن، ونصح لرجال أمته في ذلك، فقد روى النسائي وابن ماجه أن فتاةً جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: «إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته (ليغطي نقصه) وإني كارهة»، فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها وأمره أن يجعل الأمر إليها، فقالت الفتاة: «قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء» (ابن ماجه)، وروى البخاري أن زوجة ثابت بن

قيس – وكان مسلمًا صالحًا ولكنه كان أسود دميمًا – جاءت إلى رسول الله ﷺ تقول له: إن ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خُلق ولا دين، ولكنى أكره الكفر في الإسلام (أي أكره كفران نعمة الزوج لشدة بغضي له)، فقال لها النبي ﷺ: أتردين عليه حديقته؟ (أي ما كان أمهرها من حديقة)، قالت: نعم، فأرسل رسول الله ﷺ إليه فقال له: طلقها طلقة، فطلقها ثابت.

وروى البزار والطبراني أن امرأة – اسمها زينب، وكانت تلقب بخطيبة النساء – جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن أصيبوا أثيبوا (أجروا)، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم على أولادهم وأموالهم حتى يرجعوا من الجهاد فما لنا يا رسول الله؟ فقال: حُسن تبعّل المرأة لزوجها واعترافها بحقه يعدل ذلك (أي يعدل أجر المجاهدين في سبيل الله) وقليل منكن من تفعله«.

وهذه الظاهرة من ملاحظة ومراقبة نبي الإسلام ﷺ لأفراد المجتمع من رجال ونساء تخط للمربين المنهج العلمي في التربية، والطريقة المجدية المؤثرة في الإصلاح وهي التربية بالملاحظة.

خامسًا: التربية بالقدوة:

يقول علماؤنا: «فعل رجل في ألف رجل أفضل من قول ألف رجل لرجل»، وقد انتشر الإسلام في جنوب شرق آسيا بفضل أخلاق التجار، فلا شك في تأثير القدوة الصالحة، وأول ما يتأثر به الطفل هو أبواه، فلا بد أن يقدما له القدوة الصالحة، فلا يأمراه بالصدق ويكذبا، حتى لو كانت الكذبة إنكار وجود الأب في المنزل، ولا يأمراه بصلة الرحم ولا يصلا رحمهما، ولا يأمراه بالإحسان إلى الجار ويسيئا إليه.

والطفل من صغره مولع بالتقليد، فيجب أن يحرص الأبوان على ألا يفعلا شيئًا سيئًا أمام الطفل حتى لا يقلدهما، ولو كانت مجرد إشارة باليد أو الأصابع. ثم عندما يصل الطفل لسن التمييز يعتبر أن أباه هو مثله الأعلى، فلا يجب أن يدخن الأب أمام ابنه، أو يتلفظ بالسباب والشتائم، أو يغتاب الأصدقاء والجيران.

ومن أهم أمور القدوة الحسنة العلاقة بين الأبوين، فلا بد أن تتسم بالاحترام، وأتذكر أن جدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما كان يخاطب زوجته أمام أولادها إلا بقوله: يا رتيبة هانم، وهي تعلمنا أن

نناديه: بابا البيه، وهي تناديه: عوض بيك، ولا يجوز أن يتعارك الأبوان أمام أولادهما، فإن كان لا بد من العراك فليكن في غرفة مغلقة.

والأولاد يلاحظون تصرف الآباء والأمهات مع آبائهم وأمهاتهم، ومع إخوتهم، وحتى مع العامل الأجير أو المربية، ويجب أن يراعي الأبوان مع كل هؤلاء أن يتصرفوا طبق توصيات وتوجهات الإسلام، لأنه كما قال العلماء: «فاقد الشيء لا يعطيه»، فإذا افتقد الأب حنانًا على أبويه أو عطفًا على خادمه فكيف يعلم أولاده الحنان والعطف.

والقدوة الصالحة من الأبوين يجب أن تكون خلقًا ثابتًا وليس تصنعًا؛ لأن الأولاد يحسون إذا كان الأبوان - أو أحدهما- يمثل دورًا معينًا أو خلقًا ولا يتخلقون به حقيقة، فاتقوا الله يا أيها الآباء، وكونوا قدوة لأبنائكم في زمن عزّت فيه القدوة الصالحة.